٥٦٧

دار م. النحاس

567

HARLEQUIN

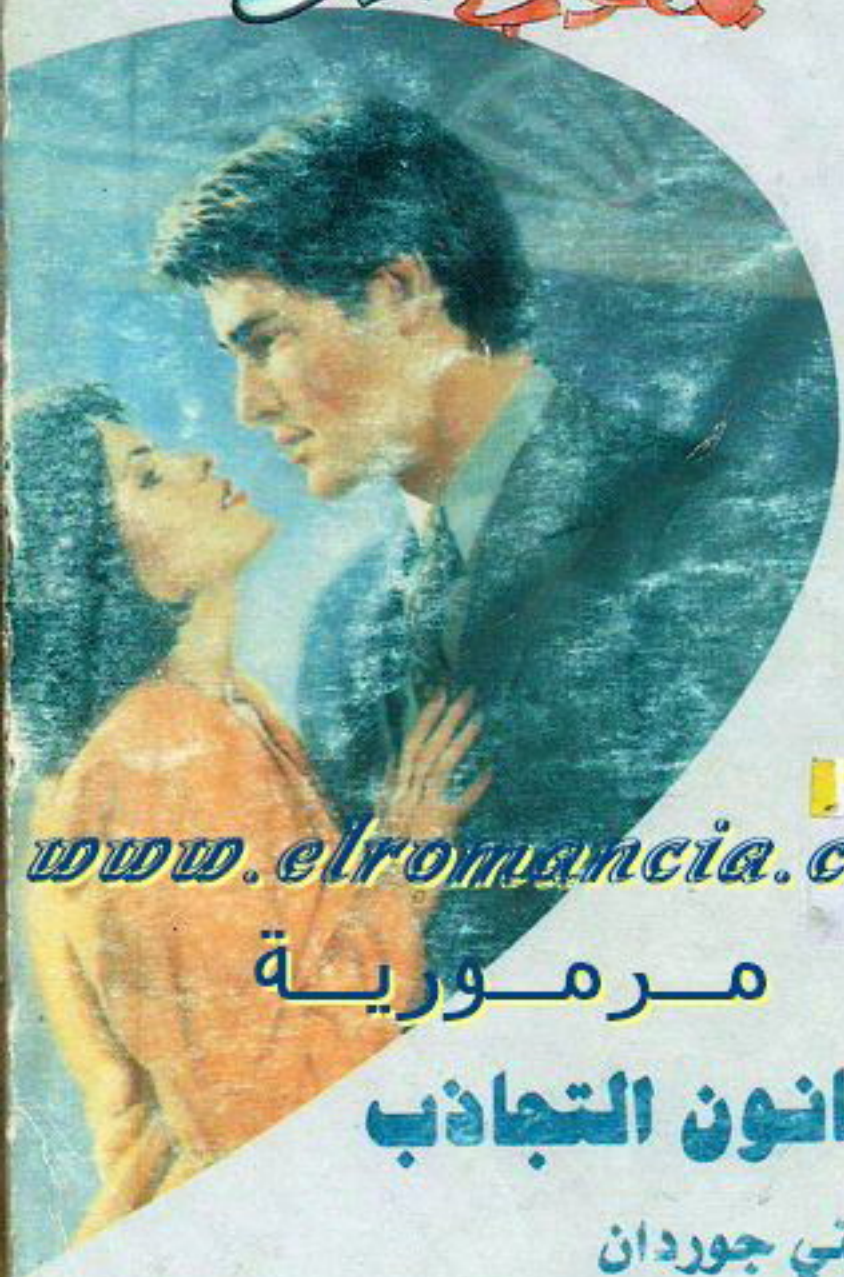

www.elromancia.com

مرمورية

قانون التجاذب

بيتي جوردان

قانون التجاذب

بيني جوردان

عندما اضطربت حياة شارلوت العملية والشخصية معاً، رأت نفسها محظوظة إذ وجدت عملاً في مؤسسة جفرسون وهورويش المحترمة، حتى ولو شريكة اقل مرتبة، ولكن دانيال جفرسون كان كالملح في الجرح، كان لديه كل ما حلمت به لنفسها... الشهرة، المجد، تهافت الناس عليه...

لقد شعرت شارلوت بجانبه بأنها فاشلة، كما ان دانيال لم يساعدها على الثقة بنفسها، وذلك بمعاملتها كمساعدة له، ومراقبتها عن كثب، وغطى غضبها واستياؤها على انجذابها إلى هذا الرجل البالغ الوسامة والجاذبية... إلى ان عبر دانيال عن اعتراضه الواضح على هذا التنافي بينهما.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

كان دانيال ينظر اليها بطريقة جعلتها تنسى كل شيء عن عملها.

اتسعت عيناها عندما اخذت عيناه تتأملان وجهها لتستقرا في عينيها عدة لحظات اخذ قلبها يخفق اثناءها، كانت خفقات قلبها تتسارع بشكل مخيف جعلها تشعر بالدوار وقد انحبست انفاسها، ثم قال لها ببساطة: «كنت افكر فيك طوال عصر هذا اليوم...»

www.elromancia.com

بيني جوردان

بيني جوردان كانت في متاعب مستمرة في المدرسة وذلك بعدم استطاعتها التوقف عن احلام اليقظة، وخصوصاً اثناء دروس اللغة الفرنسية، وفي سنوات المراهقة كانت قارئة نهمة للروايات العاطفية، رغم انه لم يخطر ببالها كتابة قصة بنفسها إلى ان اصبحت اكبر سناً، «أول نصف دزينة» من محاولاتي انتهت بشكل فخر، ولكنني ثابرت على الكتابة إلى ان انهيت أولى رواياتي ووجدت الشجاعة لإرسالها إلى الناشر، معتقدة انه سيرفضها، ولكن هذا لم يحدث.

وبيني متزوجة وتعيش في تشيشاير.

٥٦٧

خلوب

khouloub Abir 567

قانون التجاذب

بيني جوردان

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

توقفت شارلوت امام مبنى المكاتب، وهي تمعن النظر في اللوحة التي تحمل رسم جفرسون وهورويش، مكتب محاماة.

كانت ركبتاها ترتجفان قليلاً، بسبب تنورة طقمها الصوفي القاتم الزرقة والذي شعرت فجأة بأنه اقصر مما يجب رغم انه يعتبر في لندن على شيء من التزمت.

وهكذا اخذت تجذبه إلى أسفل قليلاً بينما تجول بنظراتها في انحاء ساحة السوق المزدحمة بالعمل.

كان الوقت لم يكد يتجاوز الساعة الثامنة صباحاً، ولكنه كان يوم السوق واصحاب مناضد المبيعات يجهزون عرض مبيعاتهم لهذا النهار.

ربما كان عليها ان تشتري لنفسها ثوباً جديداً اكثر ملائمة لمحامية قد ابتدأت تدريبها لتوها رغم انها مؤهلة منذ سنوات ولكن المشكلة هي انه ليس بامكانها حالياً دفع ثمن ملابس جديدة.

عادت تقرأ الاسم (جفرسون وهورويش).

حسناً، لقد سبق وقابلت ريتشارد هورويش، فهو الذي أجرى لها المقابلة للوظيفة، رأته صاحب أسرة متوسط السن يمثل نموذجاً لمحامي الأرياف.

اما بالنسبة إلى جفرسون...

وتنفست شارلوت بعمق. ثم قالت لنفسها بمرارة ان عليها

ان نواجه الأمر وهو انه كان من الأفضل لها ان تعمل لدى أي شخص بدلاً من دانيال جفرسون، الأمل الذهبي الجديد لمهنة القانون، الرجل الذي استطاع وحده تقريباً ان ينتصر لقضايا المضطهدين والمسحوقين، وفي قضيته الأخيرة، كان موكلوه ضحايا رفض قاس لشركة كبرى للأدوية الاعتراف بأن التأثيرات الجانبيه لدوائها قد سبب اعراضاً جسمانية ضارة لأولئك الذين تناولوه، دون ان تعمل شيئاً في هذا السبيل، وقد كسب هو لهم القضية، ليس فقط اعتراف الشركة باهمالها، وإنما أيضاً استخلاص اكبر تعويض لهم سبق وفرضته محاكم انكليزية.

وإذ وقفت تتأمل لوحة الاسم النحاسية اللامعة على باب ذلك المبنى الفخم البديع، لم تستطع إلا ان تقارن بين ظروف دانيال جفرسون وظروفها.

كانت هي أيضاً محامية مؤهلة وما يتبع ذلك من لوحة تحمل اسمها على الباب، وهي أيضاً كانت يوماً ما نصيرة قضايا اولئك الذين كانوا بأشد الحاجة إلى اللجوء إلى النصائح القانونية دون ان يكون بإمكانهم دفع نفقات ذلك، ولكن هنا ينتهي التشابه بينهما.

ذلك انه بينما كان دانيال جفرسون ناجحاً يتهافت عليه الزبائن، خصوصاً بعد الشهرة الذائعة التي أكسبته إياها قضية شركة الأدوية تلك، بينما كان هذا هو وضع جفرسون حالياً، كانت هي بالمقابل، مضطرة إلى البحث عن عمل كموظفة... مضطرة إلى العودة لابتداء العمل مرة أخرى من أول السلم وذلك لأنها خسرت بيتها وعملها وحتى خطيبها، بعد ان التهم الركود الاقتصادي الذي كان يخنق ويهدم ببطء

كثيراً من الأعمال، التهم هذا كله، ربما عليها كما اخذ والداها واصدقاؤها يقولون لها، ان تكون مسرورة لتمكنها من الحصول على مثل هذا العمل بدلاً من البقاء في مثل هذا الغضب، والحزن على ما حدث لها.

لكنها غاضبة حزينة، فقد كانت بذلت الكثير من المشقة للوصول، أولاً في الدراسة، ثم في أول عمل لها حيث كانت أول امرأة مؤهلة تتدرب في لندن حيث ساعدها الحظ على العثور على عمل، حتى انها تعودت عدم الرد بالمثل حين كان الرجال الذين كانت تعمل معهم يحاولون الحط من شأنها وإذلالها، فيكلفونها بأكثر الأعمال رتابة وبعثاً على السأم، وحتى في بعض الأحيان لم يكونوا يتورعون عن ان يطلبوا منها ان تصنع لهم القهوة، نعم، لقد كان عملها شاقاً في ذلك الحين، ولكن لهدف واحد في خيالها، وهو ان يكون لها مكتب محاماة مستقل، وقبل ان تبلغ الثلاثين.

وقد شعرت بنفسها تطير فوق السحاب حين ساعدهما الحظ، هي وخطيبها بيفان على العثور على مكتب محاماة معروض للبيع.

في ذلك الحين كان سكان لندن قد اخذوا بالانتقال جماعات إلى خارج لندن، يحدوهم إلى ذلك فوائد المعيشة في الأرياف، ثم كما كان بيفان اخبرها، ستكون مجنونة لو انها لم تغتنم هذه الفرصة.

وهكذا اشترت المكتب بمبلغ اقترضته من المصرف جعلها تجفل لحجمه، كما انها اشترت لنفسها منزلاً صغيراً أنيقاً على مقربة منه. على كل حال، وكان هذا رأيها ورأي بيفان أيضاً، عندما يتزوجان فان هذا المنزل في المدينة

سيكون كافياً لهما هما الاثنين، وفيما بعد يمكنهما ان يبيعاه بربح جيد ثم يشتريا بيتاً اكثر اتساعاً.

كانت المنطقة التي يسكنانها في ازدهار متزايد واسعار الاملاك فيها ترتفع بشكل هائل، كما اكتشفت شارلوت اثناء مزايدتها على المنزل والمكتب معاً، ولحسن حظها كانت قد استدانت مبلغاً كافياً جعلها تفوز على غيرها من المزايدين ولكن هذا استنفد كل ما لديها من نقود كما زاد عن رصيدها في المصرف بدرجة كبيرة، هذا إلى المبلغ الضخم الذي كانت استدانته من المصرف.

عند ذلك شعرت بشيء من الخوف، ولكن بيفان ضحك منها، وهو يسألها عما جرى لها، فهي لم تكن تفعل سوى نفس المجازفة التي يقوم بها الرجال على الدوام، فقد قال لها متحدياً: «ما الذي جرى لكن انتن النساء؟ تطلبن المساواة وعندما تحصلن عليها...»

ثم هز كتفيه دون ان ينهي جملته، ولكنها أدركت ما كان يعنيه.

وكان من طبع بيفان سرعة الانفعال والحكم على الأمور، وكان هو يعمل سمساراً معروفاً في شارع المصارف.

كانت شارلوت قد نفرت منه، في البداية، وهو يتحبب إليها، ولكنه ما لبث ان اقنعها بأن الذنب في ذلك ذنبها هي اذ انها بالغة الجاذبية.

كانت خطوبتهما غير رسمية، وإنما هي أقرب إلى اعلان تصميمها على الزواج حالما يبلغ الاثنان مستوى معيناً من المركز الاجتماعي.

كانت شارلوت تعلم ان والديها، وخصوصاً والدتها، كانا

بحيرة بالنسبة لهذا الترتيب، فالخطبة في نظر والدتها كانت تعني خاتماً ماسياً وموعداً للزفاف.

لكن شارلوت لم تحصل لا على خاتم ولا على موعد زفاف، وها هي ذي الآن دون خطيب كذلك، ونظرت بكآبة الى ذلك الباب الفخم المدهون باللون الأسود اللامع والذي ستدخل منه إلى حياة جديدة مختلفة تماماً، إذ ستعود القهقرى إلى مرحلة، في عملها كانت تظن انها خلفتها وراءها منذ سنوات.

كانت في الثانية والثلاثين، وأكبر سناً من ان تعود إلى أول السلم لتبدأ من جديد، ولكن هذا كان ذنبها هي فهي وحدها المسؤولة عن فشلها.

«لقد فشلت لأنك كنت تقبلين قضايا كثيرة مجانية من باب الاحسان.» هذا ما كان بيفان قاله لها بقسوة عندما انفجرت باكية وهي تخبره بأن المحاسب في البنك اخبرها بأنها قد افلست وان عليها ان تتوقف عن العمل وانها إذا كانت محظوظة، محظوظة جداً، فقد تتمكن من بيع البيت والمكتب لكي توفي دين المصرف.

هل كان ذلك هو السبب؟ وهو انها كانت تقبل العديد من القضايا دون أجر؟ أم لانها ليست في الحقيقة، محامية ماهرة وانها غير مجدة في عملها، وان ليس لديها المقدرة على اجتذاب ذلك النوع من الزبائن الذي هي بحاجة ماسة إليه لإنماء رصيدها في البنك؟ ذلك النوع من الزبائن الذين يبدو انهم يتدفقون على امثال دانيال جفرسون في هذا العالم؟

وتملكتها التعاسة. لماذا لا يتدفق عليه الزبائن، والصحف كافة وبقية وسائل الإعلام تشيد بذكره وتكيل له

المديح؟ وقد قال المثل: «(لا شيء اكثر نجاحاً من النجاح نفسه)؟

كان هو السبب في ان مكتب جفرسون وهورويش يقبلون موظفين جدد رغم هذا الركود الاقتصادي والذي هو الأسوأ من نوعه في هذا العقد من السنوات، والذي جعلها تقف هنا على عتبة هذا المكتب الفخم، شاعرة بأن عليها ان تكون شاكرة لما قد يكون اقنع ريتشارد هورويش بتوظيفها عنده.

كانت شاكرة طبعاً، ولكنها أيضاً كانت غاضبة، مجروحة الكرامة، واهم شيء هو ما تملكها من مرارة وهي تقارن فشلها بنجاح دانيال جفرسون.

كما انه كان في السابعة والثلاثين فقط، اكبر منها بخمس سنوات، غير متزوج ووسيم الشكل، هذا اذا صدقت الصورة التي نشرتها له الصحف، ولم تكن قد رأته على شاشة التلفزيون حيث انها كانت في ذلك الحين في قمة انشغالها بما حدث لها من ارتباك وفوضى في امورها المالية، وبيع بيتها ومكتبها لتسديد ديونها للبنك، والآن وقد انتهت من ذلك كله، صار بإمكانها على الأقل، ان تنام الليلة دون ان تؤرقها تلك المشاكل.

ولكن لم يعد لها بيت خاص بها، وعليها أن تعود إلى البداية لكي تبدأ كل شيء من جديد. واخيراً هتفت تعنف نفسها: «كفى، كفى شعوراً بالأسى على نفسك.»

سحبت نفساً عميقاً، ثم دفعت الباب، وخلفها في الساحة، سمعت صفير رجل، ربما كان يعني به فتاة مارة لم يكن لديها ما يشغلها سوى حيرتها مع أي من المعجبين بها ستخرج الليلة، وتملكتها الكآبة وهي تفكر بذلك الشكل.

عندما توارت في المبنى، التفت الرجل الذي كان يصفر

إلى مرافقه وهو يقول ضاحكاً: «انها لذيذة جداً، يا سيد جفرسون، لا اظنني رأيتها من قبل، هل هي جديدة؟»

«هذا ما يبدو.» قال دانيال جفرسون ذلك وهو ينتظر ان يزن له البائع كمية الجبن التي كان يشتريها.

كان ذاهباً لرؤية توم سميث العجوز عصر هذا اليوم، وكان توم ما يزال مشغول البال بشأن ما قد يحدث لكوخه وقطعة الأرض الصغيرة التي يملكها، بعد ان يموت، لم يكن له ورثة مباشرون، وإنما فقط عدة اقارب بعيدين من جهة زوجته، وكان اهتمامه هذا لأنه كان يريد أن يطمئن إلى ان الغلام لاري باركر الذي كان يشتري له دوماً حاجياته ويزوره على الدوام ليساعده في العمل في حديقته، الغلام هذا يجب ألا يتركه دون مكافأة على شهامته نحوه، وكان توم مولعاً جداً بنوع الجبن المحلي، ولهذا توقف دانيال ليشتري له شيئاً منه.

إذن فقد جاءت شارلوت فرنتش، وكان دانيال قد ساوره الشك في ذلك عندما اخبره ريتشارد بأنه قدم اليها الوظيفة.

كان قد قرأ شهاداتها طبعاً، ولكنه كان يتساءل كيف ستتمكن من الاستقرار معهم، مثلاً ملابسها هذه... لم يكن شخصياً، يهمه نوع الملابس التي يختار الرجل أو المرأة ارتداءها، ولكن لسوء الحظ، بعض الزبائن ليس لديهم نفس نظرته إلى هذا الأمر.

بالرغم من كل ما رافق قضية شركة الأدوية فيتال من دعاية وشهرة، فأغلب اعمالهم ما زالت تأتي من نفس المصدر المحافظ التقليدي التي اعتادت الزبائن دوماً ان تأتي منه، ولديهم حالياً كثير منهم، لن يعجبهم أن يروا

المحامية ترتدي هذا النوع من التنانير هذا إذا شاءت هي ان يعتبروها محامية حقاً.

تنهد قليلاً وهو يعبر الساحة، كان قد عرف من شهاداتها مقدار ذكائها البالغ، ولكن...

* * *

رحبت بشارلوت، حين دخولها موظفة استقبال جميلة باسمة الوجه. كان واضحاً أنها تذكرتها من حين إجراء المقابلة، وهكذا تبرعت على الفور بمرافقتها إلى حيث المكتب المعينَ لها.

سألتها شارلوت بشيء من القلق: «ولكن، ألا بأس، بالنسبة إليك، في ان تتركي مكتبك عند الباب؟»

فابتسمت الفتاة لها وهي تقول: «آه، نعم ولكن السيد هورويش هو الذي طلب مني أن آخذك إلى مكتبك حين وصولك.» وأضافت تقدم نفسها وهي تخرج من خلف مكتبها: «إنني جيني، بالمناسبة.» ثم أشارت إلى باب إلى الشمال: «هذا مكتب السيد هورويش. وهذا مكتب السيد جفرسون.»

نظرت إليه شارلوت بنظرة عدائية. ذلك أنه لم يكن لديها شك على الإطلاق في أي من المكتبين هو المترف الغالي الأثاث.

«وهذا مكتبك.» قالت لها جيني ذلك مشيرة إلى باب بعد باب مكتب جفرسون مباشرة.

مكتبها؟ وشعرت بالحيرة قليلاً فقد كانت تتوقع أن تشارك المحامين المتدربين مكتبهم وذلك من الطريقة التي بها وصفوا لها عملها. ربما جيني لم تستطع أن توضح

الأمر جيداً، ولكن ما أن فتحت الفتاة لها الباب ودخلت هي حتى أدركت أن المكتب هو لشخص واحد فقط.

ترددت، ثم نظرت إلى جيني قائلة: «هل أنت واثقة؟ أعني أنني... كنت اتوقع أن اشارك آخرين... مكتبهم.»

بدا الإضطراب على الفتاة: «آه، ولكن السيد هورويش قال لي أن أحضرك إلى هنا. كما أنه قال إنه لن يكون موجوداً هذا الصباح وأن السيد جفرسون سيوضح لك كل شيء.»

فغاص قلب شارلوت ونظرت حولها بدهشة إلى أنحاء المكتب المفروش بشكل مريح جداً ويطل على ساحة المدينة وفجأة فارقها الغضب ليحل مكانه شعور بالخوف والعجز والتوتر.

قالت جيني: «الأفضل أن أعود إلى مكتبي. ستحضر إليك ميتزي القهوة حوالي العاشرة والنصف، ولكن إذا شئت في غير هذا الوقت فهناك مكان لصنع القهوة في غرفة جلوس الموظفين وهي في الطابق الأعلى. وقد جهز السيد جفرسون تلك القاعة بشكل كاف بحيث أصبح يمكننا تناول غدائنا فيها إذا شئنا فهناك مطبخ صغير ملحق بها.»

سكتت برهة ثم عادت تقول: «حسناً، إذا لم تكوني بحاجة إلي...»

فابتسمت لها شارلوت وهزت رأسها، ثم أخذت تنظر إليها وهي تخرج من الغرفة.

كلا، إنها ليست بحاجة إلى شيء، هذا إذا لم نضع في الحسبان عملها وبيتها، واحترامها لنفسها، وكبرياءها ومستقبلها وخطيبها.

وانتبهت إلى أنها جعلت خطيبها في آخر القائمة. أتراها

كانت تشعر على الدوام بأنه غير ثابت؟ وأنه لن يقف بجانبها إذا حطت بها الأيام؟ وأنه كان يريدها فقط عندما تكون ناجحة، أتراه كان يحبها حقاً كما كان يدعي، والأسوأ من ذلك هل أحبته هي حقاً... كما يحب والداها بعضهما بعضاً، مثلاً؟

تقدمت إلى النافذة وأخذت تحدق إلى الشارع. كان ثمة رجل يقترب من الباب الأمامي. كان طويل القامة عريض الكتفين، يلمع شعره الأسود الكث في أشعة الشمس. وكان يتحرك بنشاط ورشاقة.

كان يرتدي بذلة داكنة اللون تقليدية التفصيل تماماً، فهي من نوع البذلات التي يرتديها الرجال المهنيون. المحاسب... المحامي... وخفق قلبها وهو يقف عند العتبة ويرفع بصره نحوها، وكأنه شعر بتفحصها له.

عرفته على الفور طبعاً رغم أن الصورة الفوتوغرافية الوحيدة التي كانت رأتها له كانت باهتة غير واضحة المعالم. ولكنه يبدو لها في الواقع أكثر قوة ورجولة وقوة في البنية والشخصية.

أسرعت في التراجع عن النافذة، وقد احمر وجهها، وهي تدفع اصابعها في شعرها بغضب، تزيحه عن وجهها.

كان شعرها هو الشيء الوحيد الذي رفضت تغييره حين أصر عليها بيفان أن تساير في مظهرها الطراز الحديث. فقد كان مستقيماً كثاً لامعاً، ولونه الأحمر القاتم طبيعياً تماماً. وكانت تتركه مسدلاً على كتفيها يناقض لونه القاتم بياض بشرتها وعينيها الخضراوين.

كان بيفان يريدها أن تمضي وقتاً طويلاً في الشمس

لتكتسب بشرتها السمرة، قائلاً بأن شدة بياض البشرة هو شيء قديم الطراز وغير جذاب، ولكنها كانت ترفض على الدوام وهي تخبره بأن ثمة خطراً على البشرة الناصعة البياض في تعريضها للأشعة سواء الطبيعة منها أم الصناعية.

ربما كان عليها، عند ذاك، أن تنتبه إلى إشارات التحذير فتدرك أن بيفان كان يريدها طبقاً لصورة معينة عليها أن تكيّف شكلها بها، وليس لصورتها الطبيعية ذلك أنها اكتشفت وبسرعة فائقة، أنه ما أن توارت أوسمة النجاح التي كانت تزين صورتها، حتى اختفى معها بيفان.

لابأس، ربما عندما تشفى من الصدمة، ستكتشف أن كرامتها كانت أكثر تأثراً من قلبها، ولكن حتى في ذلك الحين... سيمضي وقت طويل قبل أن تعود إلى الثقة بالرجال.

وما زاد في ألمها أن بيفان هو الذي ابتدأ بملاحقتها، وغمرها بالورود وكلمات المديح، بينما يحاول في نفس الوقت أن يجعلها تغير من صورتها الطبيعية.

كان والداها وشقيقتها يعتقدون أنها كانت أيسر حالاً بدونه وكانت تعلم أنهم على حق، فهو الذي جعلها تشتري مكتب المحاماة والبيت والسيارة الفخمة، ما جعلها تغرق نفسها في الديون.

على الأقل، كان الدين الوحيد الذي ما زال عليها الآن هو المبلغ المسحوب من البنك فوق رصيدها.

لقد رفضت في البداية الامتثال لطلب والديها منها في السكن معهما دون إيجار. فقد آلمها أن تعود إلى بيت والديها في سنها هذه، وشعرت معه بالمذلة بالرغم من حبها لأسرتها، ولكن كما قالوا لها برقة إن عليها أن تسدد للبنك

مبلغاً كبيراً، ومن الحماقة إنفاق نقودها على استئجار بيت في هذه الحالة.

حتى سيارتها الصغيرة القديمة هذه والتي تستعملها الآن لقطع نحو الخمسة عشر ميلاً يومياً للوصول إلى عملها، هذه السيارة قد اشتراها لها والدها. واغرورقت عيناها بالدموع وهي تتذكر مبلغ الخزي والتعاسة الذي شعرت به عندما أحضرها لها، ولم يكن السبب أسفها على خسارة سيارتها الرياضة ماركة «ب. إم. دبليو» التي كانت لديها، فقد كانت تجدها في الحقيقة، غير مريحة أثناء القيادة، كما أنها هي لم تكن تحب المباهاة والمفاخرة إلى حد امتلاك مثل هذه السيارة. كلا إن ما آلمها هو علمها بفشلها وأنها عادت إلى الاعتماد على والديها كما كانت أثناء الدراسة، وربما أكثر.

ولم يكن هذا يعني أنهما، أو اختها الكبرى سارا، قد ظهر منهم شيء سوى العطف والرقة. ولكن حتى العطف كان مؤلماً احتماله.

كانت تشعر بالذنب والخزي وهي تفكر في انقيادها إلى مشاريع بيفان دون تفكير. لقد تصرفت بحماقة وثقة أكثر مما يلزم، وهكذا ليس هناك من يستحق اللوم لحالتها الحاضرة سواها.

لكن ما كان يؤلمها اكثر من أي شيء آخر، هو اعتقاد كل من عرف بما حدث لها، بأن الكفاءة المهنية لا بد كانت تنقصها، ولو من ناحية ما حتى إنها رغم اعترافها بجميل ريتشارد هورويش إذ أعطاها هذه الوظيفة، إلا أنها كانت من بعض النواحي، تشعر بالاستياء خوفاً من أن يكون هذا قد صدر عنه بداعي الشفقة والإحسان.

ما الذي جعله إذن، يمنحها هذه الوظيفة في الوقت الذي يبحث فيه المحامون الجدد عن وظائف؟

ودانيال جفرسون هذا، مثلاً. وغاص قلبها قليلاً. إنها لا تريد سوى أن لا تتصل به كثيراً. وربما من غير المنطقي منها هذا الشعور العدائي نحوه، والذي ليس من عادتها، ولكن يبدو أن مزاجها المرح عادة، قد تغير اثناء الستة أشهر الأخيرة. فقد أصبحت عاجزة جافة غير قادرة على الامتناع عن تكرار ما حدث مرة بعد أخرى، متمنية لو أنها كانت رأت ما هو قادم لتنقذ ليس نفسها فقط بل عملاءها ايضاً والذين كانت تقوم بخدمة مصالحهم مجاناً دون أجر. نعم، كان من المؤسف حقاً أنها لم تر ببصيرتها أن دانيال جفرسون، بعكسها هي، كانت عينه على هدف واحد هو النجاح وذلك يبدو في الطريقة التي تناول فيها قضية شرب الادوية فحاز كل ذلك النجاح الملحوظ.

سمعت باباً يفتح وشخصاً يدخل غرفة المكتب القريب، فسارعت تجلس خلف مكتبها. لا بد أن دانيال جفرسون قد وصل إلى مكتبه ليبدأ عمله اليومي.

تساءلت بمرارة عما عسى أن يكون عمله هذا النهار ربما في قضية تجلب إليه المزيد من النجاح، أم لعله يستعد لمقابلة تلفزيونية؟ لقد كانت قرأت في إحدى الصحف عن مبلغ مهارته في التعامل مع اولئك الذين كانوا يجرون له المقابلات. إن بعض الناس تتغنى الصحف بنجاحهم، وازدهار اعمالهم. وتذكرت الفقرة الصغيرة المذلة التي كانت نشرتها صحيفة محلية تصف إغلاق مكتبها هي مشيرة إليها بصفتها إحدى ضحايا الركود الاقتصادي.

إن عليها أن تضع الماضي خلفها.. هذا ما كان قاله لها والدها برفق، مضيفاً أن ليس مما يشين المرء أن يحاول فيفشل، وأنه يرى ذلك أفضل بالنسبة إليها مما لو كانت تطلعت إلى وظيفة في مكتب جماعي واسع، متوخية السلامة.

لكن شارلوت لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تتذكر مبلغ الزهو الذي تملك والديها حين تخرجت. وبشكل ما، خطر الآن ببالها أن والديها لم يكن لهما الحق في الشعور بمثل ذلك الزهو، كما أنها هي ليس لها الحق في أن تتلقى احترام وثقة زملائها.

وبينما هي مستغرقة في هذه الأفكار التعسة، إذا بباب مكتبها يفتح. أجفلت وهي تغالب دموعاً كانت على وشك التدفق، ثم جاهدت لكي تقف وهي تلعن، أثناء ذلك، تنورتها البالغة القصر.

وابتدأت تقول: «آه، يا سيد هورويش...» ثم سكتت ذلك لأن القادم لم يكن السيد ريتشارد هورويش والذي كانت تتوقع منه، بطبيعة الحال، ناسية كلمات جيني وسط اضطرابها هذا، أن يأتي إليها لكي يخبرها بالضبط عن طبيعة عملها هنا. وإنما كان دانيال جفرسون.

الفصل الثاني

«إنني آسفة.» أخذت شارلوت تعتذر بهذه الكلمات وهي تشتم نفسها لأنها لم تنظر جيداً قبل أن تخاطبه بغير اسمه.

فقال لها دانيال جفرسون ببساطة: «لابأس في ذلك.»

كان يبتسم لها بحرارة، ما جعل استياءها منه، لسبب ما، يزداد وكذلك ضيقها من نفسها.

«إنني آسف لعدم وجودي هنا عند وصولك. لقد تأخرت في الطريق هذا الصباح، ولكن لا بد أن جيني قد أرتك مكان كل شيء. لقد كنت رتبت الأمر مع مارغريت لويس، المسؤولة عن المحامين الجدد الذين يتدربون هنا، لكي تنزل من الطابق الأعلى الساعة العاشرة والنصف لتأخذك إلى قاعة الحضانة لتقدمك إليهم.

«قاعة الحضانة؟»

فعاد يبتسم، قائلاً: «آسف، فهذا الاسم نطلقه على الغرفة التي يعمل فيها المتدربون عندنا. من جهة لأنهم يتدربون، ومن جهة أخرى لأنهم يقيمون في الطابق الأعلى والذي كان، يوماً ما عندما كان هذا المكان منزلاً خاصاً، كان الطابق الأعلى، هو قاعة الأطفال في الواقع.»

سكت عن الحديث وهو ينظر إليها متأملاً. وعلى الفور عاد إلى شارلوت شعورها بنفسها وبطابع الحياة اللندنية في مظهرها، فغالبت دافعاً يدفعها إلى شد تنورتها إلى أسفل. أهي تصوراتها أم هي ابتسامة خفيفة حقاً ما لمحت

على زاويتي فمه وهو ينظر إليها؟ وشعرت بجلدها قد ابتدأ يلتهب.

رأت بمرارة، أن كل شيء كان حسناً جداً بالنسبة إليه فقد ساورها الشك، وهي تنظر إلى بذلته الثمينة المخاطة باليد، في أنه قد ذاق شظف العيش، يوماً إلى درجة لم يستطع معها أن يشتري لنفسها ملابس حتى من المتاجر الشعبية. حسناً فليهزأ منها إذا شاء فهي لن تهتم أكثر من اهتمامها بكونه هو الذي يقف هنا يلقي إليها بتعليماته بدلاً من ريتشارد هورويش... أو من اهتمامها بعزلها عن بقية الموظفين كما ترى وذلك في هذا المكتب الملاصق لمكتبه.

لماذا؟ هل ذلك لأنه رغم ابتسامته الحارة، لم يكن في الحقيقة، يريدها موظفة هنا مع البقية؟ هل من الممكن أن يكون اعترض على توظيف شريكه محامية مثلها... فاشلة... محامية لم تبلغ من النجاح في المهنة مبلغه هو؟

أتراه طلب بنفسه وضعها هنا منعزلة بهذا الشكل وذلك لكي يراقب عملها... لأنه لم يكن يثق بها مهنياً؟ كان هذا ما ذهبت إليه ظنونها.

تمسك كبرياؤها، والذي كان حطمه ما حدث لها، تمسك بهذه الفكرة الجديدة.

وسألها: «هل تظنين أنك ستكونين مرتاحة هنا؟ إنني أعلم أنك معتادة على العمل بمفردك، ولهذا أرجو أن لا تجدي العزلة مثيرة للاشمئزاز وطبعاً، الباب الموصل بين المكتبين هو عادة يبقى مفتوحاً.»

وأشار إلى باب أدركت شارلوت أخيراً أنه يؤدي إلى مكتبه.

كاد الشعور بالمرارة والاستياء أن يصعقها وهي تستمع إليه. أتراه يظن حقاً أنه بحاجة إلى أن يراقبها أثناء عملها؟

شعرت بيديها تنقبضان حتى لتكاد تنغرز أظافرها في راحتيها وهي تقاوم الإغراء في أن تخبره برأيها في تصرفه هذا. عليها ألا تستسلم لهذا الشعور. وحاولت أن تركز تفكيرها على ذلك الدين المرهق الذي عليها للمصرف، وعلى حنان وكرم والديها. فهي ليست في وضع يمكنها من إدارة ظهرها إلى عمل... أي عمل... مهما كانت درجة مقتها لمن عرضه عليها.

لم يكن معنى ذلك أنه هو الذي أعطاها الوظيفة. فهي بإمكانها أن تتخيل ما حدث عندما أعلن ريتشارد هورويش أنه قدم إليها الوظيفة.

لا بد أن ريتشارد كان عليه أن يريه شهاداتها، طبعاً، وكانت كلها موجودة، فهي لم تخفي شيئاً شاعرة بأن مثل ذلك العمل ليس شريفاً.

أثناء إجراء المقابلة كان ريتشارد قد سألها عن أسباب فشلها، فأجابته بصراحة وصدق.

إن بإمكانها أن تتصور مبلغ غضب رجل مثل دانيال جفرسون وهو يعلم أنه عرض عليها الوظيفة فقبلتها.

كان يتكلم إليها مرة أخرى، فأرغمت نفسها على تركيز أفكارها وهي تستمع إليه بوجه قد كساه قناع من الثلج.

«لقد جهزت قائمة بالقضايا التي أنا بحاجة مستعجلة إلى أن تساعديني فيها. أرى أنه مما يفيد في ذلك لو أنك تمضين عدة أيام تتآلفين فيها مع الملفات. أنا لا أدري إذا كان ريتشارد قد شرح لك الأمر. ولكن هذا المكان كان في

الأصل مكتب محاماة صغيراً. ولم يحدث قط أن تخصصنا هنا في حقل خاص. فنحن نفضل التعامل مع أي قضية تأتي إلينا. وفي اعتقادي أن تنوع القضايا يضفي متعة على العمل. وعندما نشعر أن هناك شيئاً يتجاوز قدراتنا فإننا نحيل الزبون إلى مكتب آخر، أو في حالة شعورنا بأن في قدرتنا السير بالقضية فإننا نقبلها بشرط أن يبحث الزبون عن النصيحة عند محام آخر إذا هو شعر بأننا لا نقدم له الخدمة الجيدة التي يريدها. قد يكون هذا طرازاً قديماً في المعاملة ولكنه يناسبنا، وقد وجدت أنني لا أرغب كثيراً في العمل في حقل واحد.»

شعرت شارلوت بوجهها يلتهب هل كان عليه أن يذكرها بحماقتها إذ كانت تركز على قضايا نقل الملكيات والعقارات؟ أرادت أن تخبره بأنه لم يكن أمامها طريق آخر، وانها لم يكن لديها ما يكفي من الوقت لكي تتوسع في تنويع قضاياها... خصوصاً وسوق الممتلكات بهذا النشاط، ثم عن كل القضايا المجانية التي كانت تقوم بها من باب الاحسان.

لقد كان بيفان يثور غضباً منها لهذا الأمر. وقد طالما تجادلا بشأنه، فكانت تقول له إن الوقت هو وقتها هي وأنها حرة في بذله مجاناً لو أرادت. وأنها حتى ولو لم تربح مالاً، فيكفيها رضاء أن تشعر بأنها تساعد أناساً لولاها لما حصلوا على العدالة. ذلك ان الذهاب الى المحكمة هو أمر مكلف للغاية لا يستطيعه أي كان.

وكان دانيال جفرسون يقول: «هذا شيء جديد بالنسبة إلي، إذ لم يسبق لي مطلقاً أن تعاونت مع أحد بهذا الشكل

المتقارب من قبل، باستثناء عملي عند أبي بعد تخرجي، وهو الآن متقاعد بطبيعة الحال، وعلى كل حال، علي ان اعترف بأنني اصبحت في حاجة ماسة فعلاً الى مساعدة مؤهلة بالنسبة لكثرة العمل الذي انوء به حالياً.»

مساعدة! إنها إذن موظفة بصفتها مساعدة دانيال جفرسون. وعضت داخل فمها لتكبح ما أرادت أن تعلنه من احتجاج كاد يخنقها. لم يخبرها أحد عندما اعطيت الوظيفة، بأن عملها سيقتصر على كونها مساعدة لدانيال جفرسون... بل على العكس، كان المفروض أن تكون أحد مجموعة المحامين المتخرجين حديثاً الذين يعملون في مكتب المحامين بصفتهم محامين مؤهلين لدوائر الشركات الكبرى القانونية.

لقد كانت تصورت أنهم سيقومون بكل الأشياء التافهة المملة بينما يستمتع دانيال جفرسون بهالة المجد.

ولكن اكتشافها بأنها ستعمل خصيصاً لأجله وتحت امرته كان بمثابة صدمة غير سارة لها.

تملكها الإغراء في أن تتحداه أن يكشف عن الحقيقة بدلاً من تغطيتها بالتملق الزائف، والاعتراف بأن غرضه الحقيقي من وضعها في هذا المكتب بجانبه هو أنه لا يثق بها وليس لأنه يعتقد حقاً بأنها ستكون مصدر عون له.

سحقتها هذه الفكرة وآلمتها بشكل اكثر مما تستطيع احتمال الاعتراف به لكي تدرك ما الذي كان يحدث. لو أن بإمكانها فقط أن تستسلم لمتطلبات كرامتها، فتخبره بأنها غيرت رأيها، فهي لم تعد تريد هذه الوظيفة، ثم تخرج من هنا مرفوعة الرأس.

ولكن هذا لم يكن باستطاعتها... لم يكن أمامها سوى أن تصرف بأسنانها ثم تمنحه ابتسامة باردة كالثلج.

وبعد، فما هي إلا مجرد موظفة... بينما هو دانيال جفرسون القوي المتسلط، الذي إذا كانت أوامره أن تمضي بقية حياتها العملية تصنع القهوة وتأخذ الرسائل إلى مكتب البريد، فليس بإمكانها أن تعترض أو تفعل شيئاً إزاء ذلك.

كل التعاسة والقنوط الذي عانته طوال أشهر الإذلال الأخيرة أخذ يغلي الآن في اعماقها مكوناً فورة جياشة من المشاعر موجهة نحو الرجل الواقف أمامها.

كل شيء كان حسناً بالنسبة إليه، فلا شك انه لم يسبق له أن اخطأ قط، ولم يغلط بشيء، كما أنه لم يعان من الشعور بالمذلة وهو يخسر كل شيء تقريباً... الوظيفة... البيت... الحبيب...

لم يكن هذا يعني أنها وبيفان كانا حبيبين بالمعنى المفهوم. إذ من الغريب أنه بعد ملاحقتها والتودد إليها، ما لبث، بعد أن اصبحا خطيبين، أن شغل في العمل على تغيير مظهرها وعملها وذلك على حساب توثيق علاقتهما العاطفية. كما كان خروجهما دوماً مع جمع من اصدقائه ذوي المستوى العالي ومن نفس العالم الذي تعوده هو.

واعترفت لنفسها بتعاسة بأن بيفان قد ملأها بالحماسة لهذه الحياة ما جعلها تنجرف معهم في حياتهم الباذخة هذه.

ثم سمعت دانيال جفرسون يسألها ان كانت تريد شيئاً.

لو كانت تريد شيئاً... نعم، إنها تريد أن تستعيد احترامها لنفسها، أن تريح كرامتها، أن تشعر بأن الناس يثقون بها

وبقدرتها المهنية. إنها بحاجة إلى كل هذه الأشياء وأكثر، ولكنها لم تكن تريد أن تحصل عليها من هذا الرجل.

منحته ابتسامة باردة متوترة، أخرى وهي تقول له بحذر: «كلا ليس ثمة ما احتاجه.» لقد فهمت تماماً ما كان يعنيه بذلك والذي هو ليس سوى قائمة بالملفات التي يريدها أن تدرسها...

لكنها لن تسأله أين توجد تلك الملفات...

يبدو أن القائمة كانت على مكتبه، وعندما فتح الباب الموصل بين مكتبيهما لكي يحضرها، تملكتها الدهشة وهي ترى أن غرفة مكتبه ليست كما تصورتها على الاطلاق. كان الأثاث قديم الطراز نوعاً ما، وكان هناك كرسيان مريحان على جانبي المدفأة. كما كان هناك مكتب اضافي أمام النافذة. أما الشيء الأكثر غرابة، فهو الصندوق الخشبي الكبير في الزاوية والمملوء من لعب الأطفال.

قال لها وهو يراها تنظر إلى الصندوق ذاك: «إنها أشياء مفيدة عندما اتعامل مع حالة طلاق. إذ غالباً، إذا كانت المرأة هي موكلتي، غالباً ما تحضر معها أطفالها. وهكذا تلهيهم اللعب هذه.»

أما الذي لم تره في غرفة مكتبه، فهي خزانة الملفات.

ربما بإمكانها أن تسأل عنها مارغريت لويس عندما تراها أو ربما جيني موظفة الاستقبال.

كان الباب الموصل بين المكتبين ما يزال مفتوحاً. وتمنت شارلوت اغلاقه، لكي تحجب نفسها عن ذلك الرجل الذي يعمل في المكتب الآخر... ذلك الرجل الذي بلغ من قلة ثقته بها أن وضعها هنا تحت مراقبته ولكن حتى هذا الشيء

البسيط، مثل إغلاق الباب لا يحق لها أن تقوم به. وجاشت المرارة في داخلها. فهي موظفة الآن خاضعة لرغبات وأوامر الآخرين.

وعند الساعة العاشرة والنصف، سمعت طرقاً على باب مكتبها الخارجي. وعندما نهضت لتفتحه، قدمت المرأة التي كانت تقف عند العتبة قدمت نفسها باسم مارغريت لويس.

كانت في الخمسينات من عمرها، طويلة القامة ذات شعر كث قوي وابتسامة دافئة.

لم يكن يبدو عليها أنها تشارك دانيال جفرسون في قلة ثقتها بكفاءة شارلوت المهنية. وعندما رافقتها في الصعود إلى الطابق الأعلى، شعرت شارلوت ولأول مرة هذا الصباح، بشيء من الارتياح.

أثناء صعودهما، أخذت مارغريت تقول: «إننا هنا وحدة صغيرة متآلفة. وأنا اعتقد بأن سبب ذلك هو أن هذه الشركة قد انشأتها في الأصل امرأة.»

«امرأة؟» وتوقفت شارلوت على السلم تحدق فيها.

فابتسمت مارغريت: «نعم، لقد ابتدأت ليديا جفرسون بمزاولة مهنة المحاماة هنا بعد تخرجها مباشرة، وذلك بعد أن لم تستطع الحصول على وظيفة في أي شركة للمحاماة. لقد كانت خطوة جريئة للغاية تقوم بها امرأة في تلك الأيام.»

فسألتها شارلوت: «ليديا جفرسون؟ لا بد أنها... هل كانت من اقرباء دانيال جفرسون؟»

«إنها عمة والده. وعندما جئت أنا للعمل هنا، كانت هي قد تقاعدت عن العمل منذ سنوات. ولكنها كانت ما تزال تبدي

اهتماماً قوياً بمهنة المحاماة. لقد كانت هي ودانيال، متقاربين جداً، وعندما كان ما يزال تلميذاً صغيراً في المدرسة كانت تحضره معها أحياناً إلى هنا. لقد كانت لها مواقف قوية مع حق المرأة في السيطرة على حياتها الخاصة. كما كانت بالغة الحماسة في الدفاع عن المظلومين. ودانيال يشبهها كثيراً في هذا. أكثر من أبيه من هذه الناحية بكثير، والذي هو رغم لطفه البالغ، كان أقرب إلى نموذج محامي الأرياف.

كما كان دانيال تلميذاً لامعاً، ما جعل كثيراً من الناس يرون أن عليه أن يدرس ليكون محامياً في المحاكم العليا، ولكنه كان مصمماً، على الدوام على أن يعمل في هذا المكان، متابعاً التقليد الذي أسسته عمته.»

«ولكن لا بد أنه بعد كل هذه الشهرة التي نالها بسبب قضية شركة الأدوية «فيتال» لا بد أن الطمع قد تملكه لكي يستفيد من ذلك النجاح، ربما بنقل مكتبه للمحاماة إلى لندن؟»

هزت مارغريت رأسها وهي تقول بهدوء: «آه، كلا. دانيال لا يمكن مطلقاً أن يفعل هذا.»

قالت ذلك بيقين وعقيدة وحنان ما جعل شارلوت تشعر بأن استياءها من دانيال جفرسون يثور في داخلها. فالأمور ملائمة تماماً بالنسبة إليه، إذ أن كل شيء قدم إليه على طبق. كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يتخرج من الجامعة، ثم يدخل هذا العالم المريح الذي ينتظره هذا العالم الذي مهدته له إمرأة...

إمرأة كانت بلغت من النجاح ما لم تبلغه هي، متغلبة على

موانع أعظم بكثير... وكانت شارلوت تذكر نفسها بذلك وقد تملكها الحزن وهما تصلان إلى قمة السلم حيث فتحت مارغريت الباب.

في الداخل، كانت هناك قاعة واسعة مشمسة قد جلس فيها ثمانية أشخاص خلف مكاتبهم. وكان أزيز أجهزة الكمبيوتر والمعدات الالكترونية يملأ جو القاعة، وعلى امتداد الجدران كانت هناك رفوف وضعت عليها رزم الأوراق وكذلك المذكرات القانونية مربوطة بشرائط وردية اللون.

كان من الواضح أن الناس الذين في الداخل كانوا مشغولين جداً ولكن مع ذلك كان الجو مريحاً سعيداً وكان ثمة شابة متكئة على كتف زميلها الفتى وهي تغيظه مازحة أثناء مساعدتها له بالنسبة إلى سؤال.

رأت شارلوت في الموجودين حماسة وتألقاً في الأعين أنبأها بمقدار استمتاعهم بعملهم. كما كانت تحيط بهم حالة من اليقظة والتأهب.

أدركت على الفور، ودون أن تعرف أحداً منهم، أن هؤلاء المتدربين كانوا جميعاً ذوي انجازات فائقة. فهم سريعون أذكياء، مجتهدون أكثر مما كانت هي نفسها ذات يوم، ولكن كان لديهم شيء أدركت أنها لم تعرفه قط، فقد كانوا أخلياء البال من القلق واللهفة اللذين سمما حياتها وذلك منذ اللحظة التي افتتحت فيها مكتب المحاماة.

لم يبد عليهم أنهم يعرفون شيئاً عن تاريخها المهين ومارغريت تقدمهم إليها، فقد كان تصرفهم بالغ الحرارة. واحد أو اثنان من الفتيات أخذا ينظران إلى تنورتها

القصيرة باستحسان، ولكن لم يظهر أحد آخر أي عداء أو استياء نحوها.

وبعد أن أغلقت مارغريت باب المكتب، وعادت تقف على قمة السلم مع شارلوت، قالت: «إنهم فتية مجتهدون ولكنهم يميلون إلى المرح والمزاح أحياناً. إن دانيال يؤمن بأنهم يجب أن يمنحوا من المسؤوليات قدر ما يمكنهم حمله ولكن دون أن يثقلهم عبء ذلك، وأنا أعترف بأن هذه الوصفة قد نجحت. إن ما نفضل أن نقوم به هو أن نوجه الواحد منهم إلى قضية محددة، وبهذا يمكنه أن يرى الأمر بمجمله. وعندما تبدأين العمل في ملفات دانيال، ستجدين داخل الغلاف اسم المتدرب الذي أعطي هذه القضية، وأي عمل تريدين أن تقومي به بشأنها، يمكنك أن تعطي التعليمات إلى المتدرب صاحب الشأن، مباشرة وإذا شئت يمكنك أن توجهي تعليماتك من خلالي أنا. إنني أدرك أنك في خلال الأيام القليلة القادمة، إلى أن تألفي كل شيء، ستكونين مرتبطة بمكتبك وبالملفات ولكن عندما تستقرين تماماً، سيكون من دواعي سروري أن نتناول الغداء معا ذات يوم.»

قالت شارلوت بحماسة صادقة: «نعم سيسرني ذلك، ولكن هناك شيئاً يمكنك أن تساعديني فيه، وهو أين هو بالضبط مكان الملفات؟»

فابتسمت مارغريت لها: «تعالي معي.»

وعندما عادت تهبط السلم إلى الطابق الأسفل، قالت لشارلوت ان ليديا جفرسون عندما قررت البدء بمزاولة مهنة المحاماة، اشترت هذا المنزل. وهي مارغريت مسرورة لحرص دانيال على أن يبقى كما كان في الأصل بدلاً من أن

يحوله إلى مكان عصري لا روح فيه خلف واجهة كلاسيكية.

وعندما وقفتا عند قمة السلم الثاني، قالت لشارلوت: «ها هي هنا.» ثم فتحت باباً يؤدي إلى غرفة صغيرة مستطيلة الشكل، جدرانها مبطنة برفوف مليئة بالملفات.

«الملفات المنتهية موجودة في القبو. أما هنا فيوجد ملفات القضايا الجارية. وإذا أردت أن تعرفي شيئاً، أو إذا احتجت أي شيء، فاتصلي بي هاتفياً أو اصعدي لرؤيتي.»

شكرتها شارلوت وهي تعود إلى مكتبها، على الأقل لم تكن مارغريت عدائية نحوها، ولكن ربما هذا لأنها لم تعرف بعد الحقيقة عنها.

ما أن اصبحت شارلوت داخل مكتبها، حتى سمعت دانيال يناديها.

«هل يمكنك أن تأتي إلى مكتبي للحظة واحدة من فضلك يا شارلوت؟»

ففعلت كارهة.

كان جالساً خلف مكتبه، وأثناء وقوفها أمامه وهي تغلي بالغيظ والتعاسة، كان الألم يتملكها للتناقض الذي بينهما.

رفع بصره إليها باسماً كانت بسمة يستعملها دون شك على شاشة التلفزيون للتأثير على المشاهدين، كما أخذت تفكر. ما أشد بياض اسنانه... واستقامتها... ولكنها ما لبثت أن لاحظت أن إحدى ثناياه الامامية كانت مشروخة قليلاً. ومن الغريب أن ذلك بعث في نفسها شيئاً من البهجة.

قال لها: «هنا اضافة إلى قائمة الملفات أريد منك أن تتآلفي معها.»

عندما اقتربت منه لتتناول منه القائمة، استطاعت أن تشم

رائحة خفيفة منه، لم يكن يضع أي نوع من محاليل بعد الحلاقة العطرية، وإنما كانت مجرد رائحة الصابون. وعبست. ذلك أن أحد الأشياء التي لم تكن تهتم بأمرها كلياً بالنسبة إلى بيفان، كان ادمانه على استعمال عطور رجالية قوية الرائحة. ولم يفلح كل ما قالته له، في اقناعه بأنها تجد ذلك مخمداً للمشاعر اكثر منه مثيراً لها.

سمعت دانيال يقول لها: «اسكبي لنفسك فنجان قهوة ثم جرّي كرسياً اجلسي عليه. إنني سأعطيك خلاصة مختصرة لكل من هذه القضايا، وبعد ذلك أريدك أن تقرأي الملفات ثم تعطيني رأيك المهني في نقاط الضعف والقوة في كل منها.»

من حسن الحظ أن ظهرها كان إليه عندما كان يتكلم، ذلك لأنها كانت قد استدارت لترى أين هي القهوة التي يخبرها عنها. كان هناك إناء قهوة وسخان بجانب صندوق الالعاب وكذلك صينية عليها فناجين وكل ما يلزم. وعندما أخذت تنظر إلى هذا، شعرت بظهرها يتصلب. يا لغرور هذا الرجل وثار غضبها وهي تسكب لنفسها شيئاً من القهوة. ما الذي يحاول أن يقوم به، يختبرها؟ وكأنها طفلة تتعلم الهجاء، ثم اعقب هذه الفكرة الغاضبة، فكرة أخرى اكثر ازعاجاً. ماذا لو كان هذا نوعاً من الاختبار، وإذا فشلت... إذا كان حكمها على قضاياه لا يتفق بالضبط مع حكمه أتراه سيتخذ هذا دليلاً على عجزها ويطردها من العمل.

ارتجفت قليلاً وهي تضيف السكر إلى القهوة، وصورة ذهنية حديثة لآخر بيان من حسابها في المصرف تذكر بمبلغ أهمية الاحتفاظ بهذه الوظيفة. فالأجر ممتاز ثم هي

قريبة من بيتها. ومهما كان اعتمادها هذا على والديها يجرح كرامتها، فلم يكن بإمكانها الهرب من الواقع الذي هو أنها طالما لم تسدد دينها للبنك، فلن يكون بإمكانها أن تدفع إيجاراً.

وهكذا استدارت عائدة إلى المكتب جامدة الملامح.

عندما جلست، أخذت تلاحظ بضيق كيف ارتفعت تنورتها القصيرة عن فخذيها، ولكن عندما نظرت خلسة إلى دانيال، وجدته ينظر في بعض الأوراق على مكتبه.

عندما أخذت تستمع إليه وهو يصف لها كلاً من القضايا الموجودة على القائمة، اضطرت إلى الاعتراف بأنه إما لديه ذاكرة قوية تساعده على الإدلاء بكل هذه التفاصيل، وإما أنه قد درس بعمق كل قضية موجودة أمامه.

فضلت أن تظن ان التخمين الأول هو الصحيح، فهذا ما كانت تتوقعه من رجل احتفت به الصحافة بذلك الشكل. ولكن النزاهة ارغمتها على الاعتراف بأن التخمين الثاني قد يكون هو الصحيح. ولكن كونه محامياً جيداً لا يعني بالضرورة أنه انسان جيد. وقلبت شفتيها عابسة.

في الساعة الواحدة إلا خمس دقائق، لم يكونا وصلا إلى نصف القائمة بعد، فسكت وقال لها: «أظن هذا يكفي بالنسبة لهذه الجلسة، إن لدي موعد عمل اثناء الغداء ولا اظن بإمكاني العودة قبل الثالثة. ولهذا اظن من الأفضل ترك البقية الى الغد. أما بالنسبة إلى الغداء فلدينا غرفة الموظفين في الطابق الأعلى، هذا إذا لم يكن لديك ترتيبات أخرى.»

«نعم، شكراً لقد سبق واخبرتني جيني بذلك.»

كان صوتها وهي تتكلم مختصراً سريعاً، ورأته يرمقها بنظرة مفكرة، فاحمر وجهها قليلاً، ما ملأها بالغيظ.

كانت قد أحضرت بعض الشطائر لغدائها. كانت تعرف المدينة جيداً، وتعرف مكاناً قرب النهر يمكنها أن توقف فيه سيارتها وكانت مصممة، منذ البداية، على تناول غدائها هناك.

على كل حال، كان النهار غائماً بارداً، ما جعلها تعترف بأن من الأفضل لها تناول الغداء في غرفة الموظفين.

وتأثرت عندما عادت إلى هناك فوجدت جيني في انتظارها وقالت هذه تخاطبها باسمة: «إن الشخص الجديد في المكان يشعر بالارتباك، ولهذا جئت لأرى إن كنت تريدين مني مرافقتك الى الطابق الأعلى لتناول الغداء.»

«شكراً لقد كنت احضرت معي بعض الشطائر، مصممة على أن اتناولها بجانب النهر، ولكن الجو بارد نوعاً ما.»

وعندما كانتا تسيران معاً في الممر، قابلتهما امرأة وكانت قادمة من الناحية الأخرى.

كانت أطول قامة من شارلوت بكثير والتي كانت لا تتجاوز المئة وثمانية وخمسين سنتمتراً. وكان شعرها مقصوصاً ومصففاً بطراز مثير، ما يشير إلى أنها دائمة الزيارة إلى مزين الشعر. كما كان تبرجها كاملاً أو لعله كان مفرطاً به بالنسبة إلى ذوق شارلوت. وكانت بالغة الأناقة كما كانت تضع في اصبعها خاتماً ماسياً ملفتاً للنظر.

ألقت على المرأتين نظرة باردة حادة، ثم قالت لجيني ببرودة: «إن مكتب الاستقبال خالٍ. وأنا واثقة من أن دانيال

لا يعجبه ذلك.» ثم نظرت إلى شارلوت، وقست نظراتها قليلاً وهي تتسمر على طقمها بتنورته القصيرة، كما زمت شفتيها، ومع انها لم تقل شيئاً، إلا أن شارلوت أدركت أن المرأة هذه اهتمت كثيراً بمظهرها.

وما أن توارت في مكتب دانيال، حتى همست جيني تقول: «إنها السيدة باتريشيا وينترز، ارملة بول وينترز.» ثم تابعت ضاحكة وهي ترى عدم الفهم على وجه شارلوت.

«كان رجلاً ثرياً واسع الأملاك، وقد تزوجته عندما كان في الستين بينما كانت هي في الثالثة والعشرين. لقد توفي الآن، وتقول الشائعات أنها تبحث عن زوج آخر، وهذه المرة سيكون شاباً وسيماً، مسكين دانيال إنها يقولون في قاعة الموظفين أن من المؤسف ان المحامين غير محميين من زبوناتهم كما هو الحال بالنسبة إلى الاطباء.»

قالت شارلوت: «ربما هو لا يريد الحماية.» فقد بدا لها، في الواقع أن باتريشيا وينترز تشكل زوجة مثالية لرجل مثل دانيال جفرسون.

قالت جيني محتجة: «آه، كلا لا يمكن له أن يتزوجها فهو أرق وأكثر لطفاً منها بكثير.»

ما الذي كان هذا الرجل يدير هنا، مكتب محاماة أم نادياً للمعجبين؟ أخذت تتساءل شارلوت بهذا متهكمة. حسناً، إنها لن تلتحق بهذا النادي بكل تأكيد قد يظن الآخرون انه رائع، ولكنها هي لن تظن ذلك على الاطلاق.

قالت وهي تصعد السلم مع جيني: «أليست السيدة وينترز زبونة؟»

«نعم، ولكن حاجتها إلى نصائح دانيال القانونية، منذ

وفاة زوجها، هي اكثر كثيراً من حاجة زوجها لذلك أثناء حياته.»

وإذ ألقت شارلوت نظرة من النافذة إلى الخارج، رأت سيارة رولزرايس فخمة واقفة أمام المبنى. وكان السائق يفتح الباب لباترشيا وينترز التي كانت تخطو إلى داخلها، بينما دانيال يقف بجانبها. إذن، فهذا كان موعد العمل الذي تحدث عنه.

مهما كان المكان الذي سيذهبان إليه، فهما لن يأكلا الشطائر بطبيعة الحال، إلا إذا كانت شطائر محشوة بالكافيار والسلمون المدخن... وذلك، دون شك، في منزل باتريشيا الباذخ المترف.

وفجأة عبست شارلوت واحمر وجهها إذ ادركت إلى أين اتجهت بها افكارها. ذلك أنه مهما كان رأيها في دانيال جفرسون، فليس لها الحق في ان تسمح لمخيلتها بأن تخرج عن حدود التهذيب بشأنه.

الفصل الثالث

كان أحد الملفات التي طلب منها دانيال دراستها، تأتي تحت رقم (أ)، ولوت شارلوت شفتيها وهي تنظر إلى الرف الأعلى، والذي يرتفع عدة اقدام عن متناولها، ولكنها ما ان اخذت تتساءل عما يمكنها ان تفعل لتصل اليه، حتى لمحت سلماً متنقلاً في زاوية من المكان.

كان مصنوعاً من معدن الألمينيوم الخفيف الوزن والذي يسهل عليها حمله ونقله، وإذ كانت متلهفة إلى البدء بالعمل، أسرعت ترتقي درجاته، ولكنها ما لبثت ان اخذت تشتم نفسها وهي تدرك حماقتها في ارتقائه بكعب حذائها العالي وتنورتها القصيرة، ثم ان عليها لكي تصل إلى ما تريد، ان تقف على أعلى درجة من السلم بحيث لن يكون هناك سوى الرف تتمسك به.

وامتلأ ذهنها بصورة مخيفة للرف والسلم والملفات كل ذلك ينهار بينما هي متعلقة به، ما جعلها توازن نفسها بحذر قدر امكانها دون ان تستند إليه.

وإذ اخذت تبحث بسرعة على الرف عن الملف الذي تريده، أدركت انها وضعت السلم أقرب إلى الرقم (أ.م) منه إلى الرقم (أ.ن) الذي كانت بحاجة إليه.

كيف تريده ان يثق بها بينما ها هي ذي الآن لا تستطيع ان تقوم بمثل هذا العمل السهل وهو إنزال ملفات قليلة؟ وإذ تملكها الغيظ من نفسها، إلى عدم

الصبر، اخذت تميل نحو الملفات قدر امكانها، وهي تشتم تنورتها التي ازدادت ارتفاعاً والتصاقاً بفخذيها لتعيقها عن الحركة.

كان الملف قريباً من يدها بحيث بإمكانها ان تصل إليه لو انها فقط تزيد من مد ذراعها اليه بضعة سنتيمترات بدلاً من عناء النزول عن السلم ثم نقله إلى المكان المناسب والعودة إلى ارتقائه مرة أخرى.

حبست انفاسها، ثم مدت ذراعها إلى أقصى مدى تستطيعه وذلك إلى الملف المطلوب.

«أي شيء هذا؟»

وإذ اجفلت وهي تسمع فجأة صوت دانيال جفرسون يهتف بها، التفتت دون وعي، تواجهه، ناسية وقفتها المزعزعة على السلم، وما ان التفتت حتى شعرت به يهتز تحتها، فأدركت انها على وشك السقوط.

ولكن هذا لم يحدث إذ انها بدلاً من أن تجد نفسها كومة حقيرة على الأرض عند قدمي دانيال، وجدت نفسها في موقف يماثل ذلك حقارة إذ كان يمسك بها بذراعيه اللذين مدهما ليمسك بها قبل ان تسقط.

عدة حقائق اوجعتها في نفس الوقت، الأول انها اظهرت نفسها حمقاء تماماً، ما لا بد انه أثبت رأيه فيها وهو انها ليست النوع الذي يريده من الموظفين، ثانياً انها أثناء سقوطها لا بد ان يدها اصطدمت ببعض الملفات، ما جعل اوراقها تسقط متناثرة على الأرض، بينما السلم يترنح وهو مسنود إلى الرف، وثالثاً وهو الأسوأ هو حمل دانيال لها بهذا الشكل الذي اشعرها بالخزي.

وسمعته يقول لها وكأنها بحاجة إلى من يخبرها: «لا بأس، فقد تلقيتك بين يدي.»

اغمضت عينيها شاعرة بدوار مفاجيء ودانيال ينزلها إلى الأرض. وعندما لمست قدماها الأرض أخيراً، سمعته يسألها: «هل انت واثقة من انك بخير؟ كان من الممكن ان يكون هذا الحادث سيئاً للغاية، ما الذي كنت تفعلينه على كل حال؟»

حيث انه تركها الآن ووقف بعيداً عنها ليتمكن من النظر إليها، تملكها شعور بالغ بالارتباك والغيظ، عدا عن الصدمة، فقالت تجيبه متجاهلة القسم الأول من سؤاله: «كان ما افعله واضحاً، فقد كنت احاول الحصول على الملف.»

واحمر وجهها عندما نظر إلى السلم المسند إلى الرفوف. «نعم، ولكن ما كان لك ان تستعملي هذا السلم، لماذا لم تستعملي السلم الآخر وهو المخصص للرفوف العليا؟»

السلم الآخر؟ وابتلعت ريقها شاعرة بوجهها يلتهب ودانيال يمر بها نحو الباب فيغلقه ليريها سلمين من الألمينيوم خلفه.

«هذا النوع من السلالم له حاجز يمنع نوع هذا الحادث الذي تعرضت له لتوك.»

بعد أن ابتلعت شارلوت ما تملكها من غضب ومذلة، تمنت لو تستطيع أن تقول له انه لو لم يفاجئها بالحديث إليها ما جعلها تجفل، لما تعرضت لهذا الحادث.

قال لها وهو يقلب شفتيه: «على كل حال، فهذا المكان هو لتدريب المحامين، ألا تظنين اننا ندرك جيداً الأخطار التي يتعرض لها الموظفون عندنا اثناء العمل، والتي تجعلهم يحتكمون إلى القضاء؟»

كانت الغرفة بالغة الصغر، بينما هو بالغ الطول، والضخامة ما جعلها تشعر فجأة بأن الهواء غير كاف ما وجدت معه ان من الصعب عليها ان تتنفس، وكانت واعية إلى ان دانيال يراقبها...

كانت تشعر بالدوار... لا بد انها ستجن.. لا بد ان ذلك بسبب قلة الهواء في الغرفة.. والشعور بالصدمة إزاء هذا الحادث الذي أوشك ان يحدث لها، وترنحت ببطء على قدميها وهي تسمع دانيال يسألها مرة أخرى: «هل انت واثقة من انك بخير؟»

فتحت فمها لتتكلم، ولكن الكلمات تجمدت على شفتيها وهي تسمعه يقول شيئاً لم تفهمه، وعندما نظرت اليه كانت عيناه رماديتين قاتمتين متألقتين، لا بد انه ذو قدرة مغناطيسية، فكرت في ذلك وشعورها بالدوار يزداد بينما تحاول ان تحول نظراتها عنه فلا تستطيع، لا عجب في انه حبيب الصحافة، وربما كان ينوم مشاهديه على شاشة التلفزيون بنفس الطريقة التي ينومها بها الآن.

وإذ شعرت بالغضب من نفسها لضعفها هذا، أغمضت عينيها والتفتت إلى جانب محاولة ان تتنفس بعمق لتهدئة نفسها.

وعندما عادت تفتح عينيها لم تشعر بأي تحسن، ولكنها على كل حال لم تكن تنظر اليه مباشرة.

قالت له باختصار: «انني بخير تماماً.» وعندما اتجهت نحو الباب، وجدت نفسها تقول له وهي تصرف بأسنانها: «من الأسف انك استطعت ان تمسك بي، فلو انك لم تفعل ووقعت انا عليك، وسببت لك اصابة ما، لكان بإمكانك ان ترفع عليّ دعوى قضائية.»

دهشت وهي تراه يضحك، وازدادت دهشتها وهو يقول: «لو كانت لديا حية لأحبتك جداً.»

كانت قد وضعت يدها على مقبض الباب عندما أمسك بيدها يمنعها بلطف من الخروج، فنظرت اليه بارتياب وغضب وهي تقول: «لا أدري ما الذي تقصده بعملك هذا.»

كان مايزال يبتسم لها، ولكن ابتسامته بردت قليلاً وهو يقول: «اظنك ربما تريدين ان تسوّي من تنورتك قبل ان تخرجي.»

سار خارجاً من الباب ثم اغلقه خلفه تاركاً إياها في تلك الغرفة الصغيرة وقد التهب وجهها وهي تنظر إلى حالة تنورتها من التكرش والتجعد ومبلغ ما يبدو من فخذيها، أوشكت على البكاء وهي تشد تنورتها إلى أسفل، ثم اخذت في تنظيم الفوضى التي انتشرت على الأرض.

تبأله... تبأله... كل هذا بسببه.. لو انه لم يجفلها.. مضت نحو نصف ساعة قبل ان تستطيع جمع بقية الملفات. وعندما عادت إلى مكتبها غاص قلبها وهي ترى الباب الذي يصل بين مكتبها ومكتب دانيال مفتوحاً.

كان عند دخولها، يتكلم في الهاتف، وعندما وصلت إلى مكتبها رأت على مكتبه لفافة مفتوحة تحتوي على شطائر، كان قد انتهى من حديثه فوضع السماعة والتفت اليها يسألها: «إذن فقد حصلت على بقية الملفات دون أية مشاكل؟»

كان واضحاً من قولها ببرودة بالغة: «نعم، شكراً.» ان آخر شيء تريده هو التحدث اليه، ولكن يبدو انه لم ينتبه إلى ذلك وهو يضيف قائلاً: «انني احاول ان آكل شيئاً، إذ لم يكن لدي وقت أتغدى فيه.»

وإذ أدارت شارلوت ظهرها له كان وجهها يلتهب سخطاً،

اتراه يظن حقاً انها تهتم بالطريقة التي أمضى بها مع زبونته تلك ساعة الغداء؟ وساورتها رغبة في ان تدلي بتعليق ساخر، ولكنها عادت فذكرت نفسها في الوقت المناسب بأنها مجرد موظفة، وموظفة متشبثة بوظيفتها إلى اقصى حد.

أمضت بقية العصر تقرأ أول المنفات، وشعرت بالارتياح عندما اغلق دانيال الباب بينهما وذلك في الساعة الثالثة والنصف، قائلاً ان لديه مقابلة مع زبون.

«فيما بعد، عندما تأتلفين مع محتويات الملفات، سأتوقع منك طبعاً ان تحضري هذه المقابلات.»

تحضر مقابلاته، ولكن ليس لها أن تجري مقابلات بنفسها...

كان هذا ما اخذت تفكر فيه بحقد عندما اغلق الباب، ان ذلك دليل آخر على مبلغ قلة ثقته بصحة حكمها المهني، وعند الساعة الرابعة فتح باب مكتبها ودخل ريتشارد هورويش وهو يقول بابتسامة أبوية: «انني آسف لعدم وجودي هنا للترحيب بك هذا الصباح، كنت في المحكمة، لسوء الحظ، ولكنني واثق من استقرارك الآن بشكل جيد.»

«نعم... نعم، شكراً، انني.. لم اكن أدرك انني سأقوم بالعمل عند السيد جفرسون فقط.»

فرفع ريتشارد حاجبيه قليلاً للهجتها الرسمية في إشارتها إلى دانيال بلقب سيد، ولكن شارلوت لاحظت ان شيئاً من الضيق ظهر عليه وهو يقول: «نعم، حسناً... انا.. الأمر هو.. حيث ان أعباء عمله في ازدياد، فقد شعرنا معاً ان دانيال بحاجة إلى مساعدة مؤهلة.»

كان الأمر كما ظنت تماماً، وهو ان القرار في ان تكون مساعدة لدانيال جفرسون قد اتخذ فقط عندما رأى دانيال

شهاداتها فقرر انها ليست موضع ثقة لكي يسمحوا لها بالعمل بمفردها.

أرادت ان تحتج قائلة انها محامية مؤهلة، وليست طفلة بحاجة إلى رقابة مستمرة، ولكنها جاهدت في كبح المرارة والاستياء اللذين كانا يغليان داخلها، منكرة نفسها بمبلغ حاجتها إلى هذه الوظيفة.

ما كادت تمضي عشر دقائق على مغادرة ريتشارد لمكتبها، حتى سمعت طرقاً على بابها.

كانت المرأة التي دخلت جميلة وفي آخر شهور الحمل، وابتسمت لشارلوت وهي تقدم نفسها: «أنا آن، سكرتيرة دانيال، وسكرتيرتك طبعاً، ان لدي موعداً في العيادة هذا الصباح، كم سيسرني ان يقرر الولد الحضور أخيراً.» واخذت تربت على بطنها مكشرة.

سألتها شارلوت: «هل هو... هل هو طفلك الأول؟»

دهشت وآن تهز رأسها، قائلة: «كلا، فلدينا جيريمي وهو في الرابعة من عمره، ان زوجي بيتر يعمل من البيت، وعندما ولدت جيريمي، قررت ان أبقى معه في البيت، ولكن مع وجود بيتر أيضاً... حسناً احياناً يتملكني الخوف من الأماكن المغلقة، وبعد ان أنجب هذا سأعود حتماً إلى العمل بعد انتهائي من إجازة الولادة، ليس السبب هو رغبتي في المال فقط، أو ان بيتر ليس كريماً عليّ، ولكن ما يدعو إلى الرضا ان يكون لديّ بعض الاستقلال المادي، ولكن الأهم من ذلك كله هو الاتصال بالآخرين، ولكن عليّ ان أقول ان العمل مع شخص مثل دانيال جفرسون يسهل كل الأمور، فهو متفهم جداً، يهتم جداً بموظفيه.»

فقالت شارلوت: «اظن ان هذا واجبه، أليس كذلك؟» ولكنها ما لبثت ان عضت شفتها عندما أدركت ان تعليقها اللاذع هذا جعل آن تنظر إليها بشيء من الارتياب، فأضافت بلهجة مرددة: «حسناً، أليس عليه ان يهتم بسمعته الصحفية؟ عندما تسلط الأضواء على شخص ما..»

فقالت لها آن بحزم: «كلا، ان دانيال ليس من هذا النوع من الناس، كلا، انه فقط بهذه الصفات، فهو يعتقد ان الناس السعداء يعملون بشكل افضل كثيراً من غير السعداء، واظنه على حق.»

أرغمت شارلوت نفسها على الابتسام، ولكنها أخذت تصرف بأسنانها عندما غادرت آن المكتب.

ما الذي في هذا الرجل يجعل الناس يهتمون به؟» لا بد انه نومهم مغناطيسياً، حسناً، من المؤكد انها لن تنضم إلى هؤلاء المعجبين الشغوفين به، أخذت تؤكد ذلك لنفسها بوحشية وهي تتناول ملفاً آخر، قد يكون بإمكانه ان يخدع كل شخص آخر ولكنه لن يتمكن من خداعها.

كان الملف الذي كانت تدرسه يتضمن حالة صعبة معقدة، وكانت من الاستغراق في دراسته إلى حد جاءت الساعة الخامسة معه وذهبت دون ان تنتبه هي إلى ذلك.

كانت في الواقع غير واعية إلى أي حركة تحدث حولها إلى ان فتح دانيال الباب الموصل بين المكتب ودخل فوقف بجانبها ينظر إلى الملف الذي كانت تقرأ فيه وهو يقول: «أما زلت تعملين؟ حسناً، انها قضية معقدة، أليس كذلك؟ انني لا أدري كيف سيكون حل هذه المسألة، هنالك مطالبة قانونية بالتعويض، ولكن إلى أي حد سيتأثر هذا بالاهمال الذي مضى

على الأمر؟ هذا ما يصعب تحديده.» ثم قال برقة: «الساعة السادسة الآن، ونحن لا نعمل هنا عدد ساعات لندن.»

فقالت: «ولكنك ما زلت هنا.» أليس بإمكانها ان تقوم بعمل صائب؟ حتى انها لم تكن تعلم كم اصبح الوقت.

«ان لديّ عملاً هاماً يستدعي السرعة.» وسكت فتلاقت نظراتهما لحظة شعرت شارلوت بعدها بصعوبة في التنفس ودوار في رأسها.

ثم قال دانيال بهدوء: «انني اعلم ان هذا ليس سهلاً عليك، إذ واضح من شهاداتك..»

وفجأة، تلاشت صعوبة التنفس لديها، وعادت إلى ادراك مدى الفرق بين وضعيهما، فقالت تكمل كلامه بحدة وألم: «واضح انني فاشلة، نعم انني لم أنس هذا، ولكن لا تخف من ان تلوثك عفونة ذلك الفشل فتؤثر على اعمالك، وعلى كل حال لا بد انك قمت بالاحتياطات اللازمة لكي تتفادى هذا أليس كذلك؟»

اغلقت الملف اثناء كلامها، ثم نهضت واقفة وهي تقول باختصار: «انه وقت ذهابي.»

كانت في منتصف الطريق إلى الباب، عندما سمعت صوته يقول: «شارلوت اظن علينا ان نتحدث..»

فاستدارت تواجهه، غير واعية إلى مقدار الألم الذي كان يفيض من عينيها: «أحقاً تريد ذلك؟ حسناً، انا لا أريد، كل ما أريده هو ان اقوم بعملي، ولا شيء غير هذا، الماضي ماضيّ أنا، ليس من شأنك أو من شأن أي أحد آخر.

«كلا، كلا... طبعاً لا.»

كان فمه قد ارتجف قليلاً، كما لاحظت، وكان ينظر اليها

بشيء من الاكتئاب، وفي ظروف غير هذه ربما كانت تظن انها خيبت أمله من ناحية ما.

• • •

بعد ذلك بثلاثة أرباع الساعة، كان الغضب ما يزال يفور في اعماقها، وذلك عندما أوقفت سيارتها امام منزل والديها، ما الذي يجعلها تشتغل عند شخص مثله؟ شخص بهذه الكفاءة، على الأقل كما يقول كل من يعرفه؟ ألم يحدث ان اخطأ هذا الرجل ولو مرة في حياته؟ لم يرتكب أي غلطة؟.. حتى ولا ذنب؟

ولكن... كان ذلك سهلاً عليه، فهو قد دخل بعد تخرجه مباشرة إلى مكتب محاماة جاهز حسن التأسيس، مترأساً المكان بحق الولادة، وليس استحقاقاً منه لذلك، ثم عندما ينجح في قضية شركة الأدوية فيتال بمثل ذلك الشكل المثير...

وعندما سارت إلى البيت اخذ ضميرها يؤنبها، منكراً إياها بالمشقة التي لا بد عاناها في تلك القضية، وكم مكتب محاماة قد رفض أخذ هذه القضية قبل ان يتوجه الضحايا إليه اخيراً.

لكنها أخذت تحدث نفسها بغيظ بأنه الحظ وهذا كل شيء. الحظ فقط، ولكنها كانت تعلم بأنها غير عادلة في حكمها هذا، حسناً ولماذا لا؟ فهو أيضاً لم يكن عادلاً بالنسبة إليها، لقد كان كل شيء حسناً بالنسبة إليه، ليس لديه فكرة عن شعور الشخص عندما يفشل... وعن اضطراره إلى حمل عبء ذلك الفشل.

بادرتها والدتها بالقول وهذه تدخل المطبخ: «حسناً، كيف كانت الأمور معك؟»

فهزت شارلوت رأسها: «لا تسألي.»

سألتها والدتها بقلق: «لماذا؟ ماذا حدث؟»

فقالت شارلوت بسرعة: «يبدو انه لا يثق بي وهذا هو السبب في إصراره على إبقائي تحت نظره، يبدو انه ألقى نظرة واحدة على شهاداتي، ثم قرر أن ليس ثمة طريقة تجعله يثق بي لمعالجة القضايا بمفردي، واظن هذا هو فقط ما أستحقه...»

«آه، كلا، يا شارلوت، انني واثقة من انك مخطئة، على العكس، اظن فكرته عنك جيدة جداً بحيث أرادك ان تشتغلي معه شخصياً.»

رمقت شارلوت والدتها بنظرة ساخرة: «وكيف تكون فكرته عني جيدة جداً؟ كلا، من الواضح انه استاء من اعطاء شريكه هورويش الوظيفة لي، فصمم على ان يجعلني اعلم انه لا يثق بي، ربما هو يخاف من ان ألوّث مكتبه الغالي بفشلي إذا هم تركوني اقوم بأي عمل بمفردي.»

فقالت الوالدة محتجة: «آه، يا شارلوت، ما الذي حدث لك؟ لم تتعودي ان تكوني بهذا الشكل، فأنت تبدين في غاية.. غاية المرارة.»

عضت شارلوت شفتها بشدة: «انني آسفة، يا والدتي... كل ما في الأمر...»

فقاطعتها والدتها وهي تربت على يدها: «لا بأس، انني متفهمة، وبالمناسبة اننا نحن الاثنتين، سنتعشى وحدنا هذه الليلة ان والدك سيأكل في النادي... كما ان سارا ستأتي الينا فيما بعد.»

«انني صاعدة إلى غرفتي لأغير ثوبي هذا.»

تباً لكل ذلك، ما الذي جعلها تقتنع بشراء هذا؟ هو وكل بقية ملابسها المعلقة في الخزانة، ونفخت من فمها ساخطة وهي ترتدي بنطلون جينز وكنزة جميلة فضفاضة، لم تجرؤ على ان تخبر والدتها بمبلغ ما شعرت به من ضيق بهذا الثوب القصير، وإلا فهي تعلم ما سيحدث، ان والدتها ستصر على شراء بعض الملابس الجديدة لها، بينما هي لن تسمح لها بذلك، فهي مدينة لوالديها بما يكفي حتى الآن.

كان لدى والدها وظيفة حسنة، ولكنه متقاعد الآن. صحيح انهما مرتاحان مادياً إلى حد معقول، ولكنهما غير غنيين، وبجانب ذلك فهي لا تريد ان تكون معتمدة عليهما. لكنها مع ذلك معتمدة عليهما فعلاً... تماماً كما انها معتمدة على دانيال جفرسون... أو بالأحرى على وظيفته.

كانت قد احضرت معها ملفين ناوية قضاء المساء في دراستهما، انها ستثبت له كفاءتها لهذه الوظيفة مهما كلفها الأمر، هذا رغم انه من غير المحتمل ان تقوم بأي عمل إذا كانت سارا قادمة هذه الليلة.

وابتسمت بأسى، فهي وشقيقتها منسجمتان على الدوام، وذلك بالرغم من الاختلاف في طريقة حياتيهما، فقد كانت سارا سعيدة مرتاحة في حياتها الزوجية ولديها ولدان، وكما طالما قالت لشارلوت، هذه الحياة هي التي تحبها كما انها تتلاءم مع رغبة زوجها في ان تبقى في البيت مع الطفلين حيث انه مرتاح مادياً وقادر على إعالة الأسرة.

كانت تحب الحياة المنزلية، فهي تحب ان تصنع المربى في بيتها، وان تعتني بحديقة خضراواتها الصغيرة... تحب قضاء الوقت مع طفليها وان تراقب نموهما وتطورهما، كما

انها كانت تساعد في مدرستهما، إذ تمنحها من وقتها عدة ايام شهرياً ترافق اثناءها بعض الصفوف في رحلات التلامذة المختلفة، قد لا تعتبر سارا نفسها امرأة عاملة، ولكن شارلوت كانت تعلم انها تعمل كثيراً في الواقع، وانها تتصف بالتكيف والذكاء البالغين.

كانت سارا احد الاشخاص القلائل الذين بإمكانها ان تكشف عن مشاعرها لهم بصدق تام، وذلك بالنسبة إلى فشلها في عملها وقد ساورها الظن، وهي تساعد والدتها في اعداد العشاء، بأن سارا ستقوم بهذه الزيارة متعمدة وذلك لكي ترى ما فعلته في يومها الأول في العمل.

وصلت سارا بعد حوالي ساعة من انتهاء العشاء وحين كانت شارلوت في غرفتها وقد أخرجت محتويات خزانة ثيابها ونشرتها على السرير، محاولة ان تجد شيئاً مناسباً ترتديه يكون مريحاً اكثر من ثوب هذا النهار، وأقل لفتاً للأنظار.

نظرت شقيقتها إلى هذه الملابس ثم سألتها بعجب: «ما الذي تفعلينه؟»

أجابت شارلوت: «انني احاول ان اجد شيئاً مناسباً أرتديه للعمل.»

كان في صوتها من القنوط، ما جعل سارا تقطب جبينها على الفور، وهي تزيح بعض الملابس جانباً لتجلس على جانب السرير، ثم سألتها: «ما الذي حدث يا شارلوت؟ ما هي الحقيقة؟ هل هو بيفان؟»

فهزت شارلوت رأسها: «كلا، فقد ادركت منذ أسابيع انني لم أكن أحب بيفان، في الحقيقة كنت ألهو معه فقط، انني أشعر بالغضب من نفسي لافتتاني به... والسماح له بتوجيه

حياتي إلى ذلك الحد، لكنني اخذت درساً، من الآن فصاعداً أنا وحدي التي سأقرر أي شيء في حياتي، كم اشعر بالذنب، يا سارا، لقد خيبت آمال والدتي ووالدي، و...»

«هذا يكفي ما هذا؟ لا احد سواك يأخذ الأمور بهذا الشكل، ليس لديك ما تشعرين بالذنب لأجله، يا شارلوت، اسمعي ان زوجي توني سيغيب عن البيت عدة أيام في رحلة عمل، لماذا لا اضع الطفلين في منزل والدينا هذا، ثم نخرج أنا وأنت معاً لقضاء سهرة في المدينة؟ حسناً، سنذهب إلى مطعم ايطالي، هناك مطعم جديد افتتح حديثاً، ويقولون انه جيد جداً.»

عندما رأت شقيقتها تبدأ بالعبوس، قالت تقنعها: «هيا، انها سهرة ستفيدنا نحن الاثنتين.»

والتقطت ثوباً من على السرير، ثم نظرت إليه بأسى، وهي تقول: «آه، يا ليتني كنت بقياسك، هل هذا مفروض فيه ان يكون ثوباً حقاً؟»

فقالت شارلوت لاوية شفتيها: «نعم، انه ثوب.»

ضحكت سارا: «حسناً، انه مثير بكل تأكيد... ارتديه عندما نذهب معاً للعشاء، عند ذلك يمكنني ان استمتع بانعكاس نظرات الاعجاب التي سيرمقك بها الندل، ان الايطاليين يحبون الاجسام الأنثوية.»

وضحكت لما بدا من تعبير على ملامح شارلوت، وسألتها: «ما رأيك؟ هل نخرج معاً؟»

«لا بأس في ذلك.»

«هذا عظيم، سأحجز المائدة إذن، على كل حال، اخبريني الآن كل شيء عن وظيفتك الجديدة، هل دانيال جفرسون هو حقاً بالجاذبية التي يبدو فيها على شاشة التلفزيون؟ والآن

ما الذي قلته لك؟» سألتها ذلك وهي ترى النظرة التي رمقتها بها شارلوت، فتابعت تقول: «هيا ماذا حدث؟ ما الذي حدث؟» كررت سؤالها ذاك بلهجة اكثر رقة وهي ترى التعاسة الحقيقية في عيني شارلوت.

«ظننتني سأعمل بشكل مستقل... ان يعاملوني بصفتي محامية مؤهلة، ولكنني وجدت انني سأعمل بصفة مساعدة شخصية لدانيال جفرسون، انه لا يريدني هناك، يا سارا، انه لا يثق بي.»

سألتها سارا: «هل قال لك هذا بنفسه؟»

فهزت شارلوت رأسها: «انه ليس بحاجة لذلك، فالأمر واضح.»

قالت سارا ناصحة: «ألا تظنين انك مستعجلة في ظنك هذا قليلاً؟ دعينا نبحث في الأمر، ذلك ان مشاعرك كانت محبطة نوعاً ما، مؤخراً إذ كنت تنظرين إلى الأمور بشكل تشاؤمي.»

فقالت شارلوت وهي تتمشى في غرفتها: «ليس الأمر بهذا الشكل يا سارا، كل شيء يقوله.. كل شيء يفعله، يظهر انه يدعم الاختلاف الذي بيننا، انه يجعلني اشعر بخيبتي وفشلي إلى أقصى حد، ويؤلمني جداً ان أرى انه لا يثق بكفاءتي المهنية، ولو لم اكن بحاجة ماسة إلى هذه الوظيفة...»

فقاطعتها سارا بلطف: «شارلوت، ألا تظنين انك ربما اكثر حساسية من اللازم؟ انني اعلم بأنك تشعرين بشيء من الألم وعدم الانصاف و...»

«وماذا؟ هل لهذا انا لا اتجاوب مع دانيال جفرسون الرائع كما يتجاوب معه كل انسان؟ هل لهذا لم تملأني

البهجة والهيبة لفكرة القائي بنفسي عند قدميه اعجاباً؟ آه ان الوضع كله في غاية الصعوبة، يا سارا، لقد رأيت الموظفين بأجمعهم يمضون اوقاتهم في مدحه وإطرائه، وهذا يشعرني بالغضب البالغ، لقد قدم إليه كل شيء على طبق من فضة ودون تعب، انه لم يجرب قط بعض ما جربته أنا، ومع ذلك فهو مازال يشعر بأن له الحق في ان يحكم عليّ...»

«شارلوت ألا تظنين نفسك انك ربما... حسناً، انك متحاملة عليه أكثر قليلاً من اللزوم؟»

فحملقت شارلوت فيها، وقد بدا الألم على ملامحها لما رأته من عدم تعاطف شقيقتها معها، واخذت تقول: «ماذا تعنين؟» ولكنها كانت ترى بالضبط ما تعنيه سارا وذلك من النظر في عينيها. وشعرت بدموع الغضب تكاد تخنقها.

«آه، فهمت انك تظنين انني أغار منه لأنه ناجح ولأنني فاشلة.»

سارعت سارا تقول: «كلا، كلا، كما انك لست فاشلة، كلا، كل ما كنت اعنيه هو لأنك متألمة إلى هذا الحد من كل ما حدث لك، فقد يكون حكمك على الأشخاص، وتجاوبك خالياً قليلاً من التركيز، حالياً، ولكن يا شارلوت من الطبيعي ان تشعري بقليل من الاستياء منه، فأنت بشر، وهذا شيء طبيعي. ولكن ليس من طبيعتك ان تسمحي لنفسك بالتحامل بهذا الشكل على أي انسان، فقد كنت دوماً تكافحين في سبيل معرفة وجهة نظر الشخص الآخر، وإذا كان بقية الموظفين يحبونه كما تقولين...»

«أنا المخطئة إذن أليس كذلك؟ انها الطريقة التي يعاملني بها، يا سارا فهو لا يثق بي، انه لا يريدني ان اعمل معهم هناك.»

«ولكنك تعملين معهم هناك، أليس كذلك؟ وهو مع الوقت لا بد ان يدرك خطأه، هل أنت واثقة من انه هو الشخص الذي تشكك في كفاءتك يا شارلوت؟»

«ماذا تعنين؟»

وقفت سارا ثم قالت: «عندما اشترينا عجلة لسام، سقط من فوقها، فخاف من ان يعود إلى ركوبها، وصار في كل مرة يمر بجانبها، يرفسها برجله لأنها آذته مرة، لقد كان يلوم العجلة لسقوطه أكثر من ان يعترف بأنه كان خائفاً من ان يعود إلى ركوبها فيسقط مرة أخرى.»

أتريدين أن تقولي ان قدرتي على التحليل تماثل قدرة طفل في الثالثة؟»

«كلا، بل انا اذكرك فقط بأنك ما انت سوى بشر.»

«ليس مثل دانيال جفرسون، انه انسان كفوء... هذا ما يقوله الجميع.»

«إذن فهو يعجبك.»

«يعجبني؟ انني أكرهه.»

رفعت سارا حاجبيها وهي تفتح باب الغرفة. وقالت لها بصراحة الشقيقة: «كوني حذرة جداً، فأنت تعلمين ما يقولونه عن الكراهية..»

سألتها شارلوت: «ماذا؟»

«انها قريبة من الحب.»

ثم ضحكت وهي تهبط السلم، ولكن شارلوت تبعتها بقلب مثقل للغاية.

كانت تعرف شقيقتها، فقد كان لدى سارا طبيعة رقيقة للغاية وهي تكره ان تؤذي أحداً، ورأيها في انها هي

شارلوت، من الممكن أن تكون متحاملة على دانيال، وعن غيرتها، قد آذاها، ومع ان شارلوت حاولت ان تنبذ ذلك من ذهنها، فقد بقي برغمها يعاودها طوال المساء ويشعرها بالضيق، والتوتر.

هل هذا صحيح؟ هل عداؤها لدانيال سببه شيء اكثر من الاستياء لقلة ثقته بها؟ وهل هي كما رأت سارا، تغار منه في الواقع؟ تغار من نجاحه؟

كانت قد قررت ان تنام باكراً، ولكن في الوقت الذي خرجت فيه سارا، وعاد والدها ليحدثهما عن سباق الغولف الذي قام به، ضربة ضربة، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة وشارلوت لم تكن فتحت بعد الملفات التي احضرتها معها من المكتب، كانت مصممة على انها وهي تعمل له، ان لا تدع لدانيال أي عذر لانتقاد عملها، انها تريد ان تريه انها قد تكون فاشلة مادياً، ولكنها كمحامية تماثله كفاءة، اخذت في العمل إلى الساعة الواحدة صباحاً، شاعرة بالألم من ظهرها لطول جلوسها على الكرسي، امام مائدة المطبخ.

اغلقت الملف الذي كانت تقرأه، كانت قضية معقدة أخرى، كما ادهشها قبول دانيال لها وهي تطلع عليها، فقد كان الجهد الذي انفق عليها حتى الآن، يفوق أي مردود مالي يغطي اتعاب المحاماة، لو لم تكن تعرف دانيال، لظنت انه لم يقبل هذه القضية إلا من باب الشهامة.

قطبت جبينها وهي تغلق الملف، اتراها تتحامل عليه؟ وهل عليها ان تضيف ذلك إلى قائمة فشلها الطويلة؟

نهضت تسير نحو المغسلة وقد تملكها الإضطراب، ثم فتحت الصنبور تملأ كوبها بماء بارد.

كانت سيرة حياته رائعة، فهو ذو انجازات ناجحة، بشهادة الصحافة، وهو ليس من نوع الاشخاص الذين ينقادون لدوافع الاحسان، فهي قد تعرفت إلى رجال كثيرين مثله، ما جعلها تدرك ذلك جيداً، اولئك الرجال الذين كان بيفان يختلط بهم.

ولكن ماذا لو كانت مخطئة؟ ذلك انه كما كانت سارا اشارت إلى ذلك بلطف، كان كل من يعمل معه يحبه ويعجب به.

وابتدأت تشعر بالذعر يتملكها، لم تكن تريد ان تكون مخطئة، انها تريد وبحاجة إلى التشبث بصورته في مخيلتها، انها بحاجة إلى كرهها له، انها بحاجة إلى ذلك لتحمي نفسها...

وضعت كوب الماء من يدها التي كانت ترتجف قليلاً، من ماذا تريد ان تحمي نفسها؟

وتوتر جسمها وهي تتصور عينيه وهما تراقبانها، وجف فمها.

لقد مرت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، بعد نهار حافل، وها هي ذي الآن تسمح لمخيلتها بالتجوال إلى شيء غير موجود، وقد حان وقت نومها:-

الفصل الرابع

«لحظة واحدة من فضلك يا شارلوت.»

وضعت شارلوت الملف الذي كانت تقرأ ثم دخلت إلى مكتب دانيال.

ابتسم لها وهو يدعوها إلى الجلوس، ابتسامة كشفت عن الشرخ في سنّه.

أتراها كانت مخطئة في رأيها فيه؟ وهل سارا على صواب وهي ترى انها ربما كانت بالغة الحساسية ومتحاملة اكثر من اللازم؟ انها تعرف مبلغ حب شقيقتها لها، فهي ليست من ذلك النوع الذي ينتقد للتخريب، وكان صحيحاً انها كلما كثر احتكاكها بالموظفين تزداد معرفتها بمقدار التقدير والاحترام الذي يكنونه لدانيال، الرجال منهم والنساء.

كانت آن في الغرفة هي أيضاً وقد ابتسمت هي أيضاً لشارلوت عندما دخلت ويبدو انها كانت تسجل ما كان يمليه عليها دانيال، فرفعت دفترها وأزاحت فنجان قهوتها.

«عليّ ان اخرج عصر هذا اليوم لرؤية زبون، انه يريد ان يكتب وصية جديدة، وهو قعيد الفراش لا يستطيع المجيء بنفسه انني اريدك ان تأتي معي.»

قالت آن وهي تقلب شفتيها: «أليس هو جون بالفور؟»

فأجاب: «نعم، انه هو.»

«هذا يعني انه سيغير وصيته للمرة الخامسة خلال الثمانية أشهر الأخيرة.»

فقال دانيال: «انه يشعر بالوحدة، ولا يوجد أي من أفراد أسرته قريباً منه ليزوره، فهو يشعر بالرغبة في التحدث إلى شخص ما هذا رغم انه ثمة من يرعاه ويعتني به بشكل جيد جداً.»

فقالت ساخرة: «تعني انه يريد شخصاً يتجادل معه، ما دام يشعر بالوحدة إلى هذا الحد، فهناك كل انواع المنظمات المحلية يسرون بزيارته.»

فقال لها دانيال بلطف: «انه بالغ الكبرياء يا آن، فهو لا يريد ما يظنه احساناً من أي نوع، وبهذه الطريقة بقوله انه يريد تغيير وصيته، أو بشكواه انني لم أتبع آخر تعليماته بالتفصيل، تكون كبرياؤه محفوظة لأنني سأزوره بداعي العمل ولا شيء غير ذلك.»

«نعم، وستمد انت هذه الزيارة ضعفي ما هو مفروض ان تستغرقه كما ان الأجر الذي تتقاضاه منه هو لا شيء تقريباً، انني احياناً اظن انه كان عليك ان تكون طبيباً نفسانياً وليس محامياً.» وابتسمت له وهي تقول جملتها الأخيرة.

«ان الاهتمام بعجز الآخرين واحتياجاتهم لا يكلف شيئاً، وبعد فإننا جميعاً نحتاج إلى ان يساعد بعضنا بعضاً أحياناً في حياتنا.»

اخذت شارلوت تفكر في تعليقه هذا بهدوء، لم تكن تستطيع ان تتصور ان هذا الرجل يمكن ان يحتاج شيئاً من أحد، ولكنها لم تستطع ان تنكر الاقتناع الصادق الذي يبدو في لهجته.

حاولت ان تتخيل بيفان أو أياً من اصدقائه يقومون بعمل كعمل دانيال هذا، ولكن مخيلتها لم تستطع الوصول إلى

صورة كهذه، ففي حياة بيفان كل شيء كان يتعلق بالمصلحة بما في ذلك هي، وعندما اخذت علاقتهما تتراجع... لم تأسف على خسارتها بيفان، ولكنها مازالت تتألم لكونها كانت من الغباء يوماً، بحيث افتتنت به وانقادت إليه.

قال لها دانيال بلهجة ذات معنى: «سيعجبك جون فأنتما الاثنان محاربان.» وألقى عليها نظرة جعلتها تهتز للرجولة الفياضة والجذابة التي رأتها فيه... ولكن كلا ذلك انها لا يمكن ان تستجيب لجاذبيته هذه حتى ولو كان آخر رجل تراه في حياتها.

ولكنه يصفها بأنها محاربة! هي محاربة، كيف يمكنه ان يظن ذلك والمرارة تتملكها للسرعة التي استسلمت فيها لدى أول عقبة اعترضتها؟ ولكن أي خيار كان امامها؟ فهي لو كانت أصرت على البقاء في العمل لجازفت بخيانة ثقة زبائنها، كان عليها ان تعترف لهم بفشلها، وبالتالي تنصحهم باللجوء إلى من هو أكثر كفاءة مالية من المحامين.

ربما كان بإمكانها ان تستمر بضعة شهور أخرى، مخادعة زبائنها بالإدعاء بأن كل شيء يسير على ما يرام، فشركة التأمين ستغطي كل ما قد يصيبهم من ضرر بسبب أي قصور مالي قد يعانون منه، ولكن لم يكن هناك طريقة يمكنها ان تعوضهم بها عن خسارة الوقت، وهذا ما لم تستطع المجازفة به، وقد سخر منها بيفان لأجل هذا، فهو كان يجازف كل يوم، يجازف بمبالغ مالية ضخمة تبلغ ملايين الجنيهات، فهذه هي الحياة بالنسبة إليه وبمقدار ما تحتويه من مخاطر يكون الرضا الذي يلقاه الشخص منه.

ولكنها لم تكن كذلك، فقد كانت بالغة الحرص، وكان

دانيال يقول لها: «أخشى بذهابك معي، ستفوتك ساعة الغداء.»

«هذا غير مهم.» قالت ذلك واعية إلى ما كان في لهجتها من توتر وتحفز، وكانت آن قد غادرت الغرفة الآن وكانت هي تقف امام مكتب دانيال، متشبثة بالملف الذي كان في يدها وكأنها تستمد منه الحماية.. أو ترى فيه سلاحاً... ولكن سلاحاً ضد من؟

كان ثمة ملف على مكتب دانيال، فنظرت إليه، وعندما رأت الاسم باتريشيا وينترز مكتوباً عليه، تملكها التوتر بشكل آلي.

وعندما أدرك دانيال انها كانت تنظر إلى الملف حرك ذراعه وكأنه يغطيه، ما ملأ شارلوت بموجة من التحفز الغاضب، لماذا شعر بأن من الضروري ان يبعد هذا الملف عنها؟ وما هو الضرر الذي سينتج عن مجرد النظر اليه؟ سألها: «ما مبلغ تقدمك بالنسبة للملفات؟»

تملكها التوتر على الفور واجابت بحدة: «مازلت في منتصفها.»

فرفع حاجبيه مفكراً: «أحقاً؟ لا بد انك قارئة سريعة للغاية.»

فشعرت بالإحمرار يصعد إلى وجهها، ما الذي يعنيه بكلامه هذا؟ هل هو انها تمر على الملفات بقراءة مجردة من أي تفكير أو تمعن كاف؟ لا شك في انه لو كانت اخبرته بأنها لم تنه بعد سوى ملف أو اثنين، كان سيتهمها بالبطء وليس باعمال الفكر والتمعن في المحتويات.

كلا... من المؤكد انها لا تعجبه، مهما كان مقدار اللطف والرقة الذي يبديه نحو الآخرين.

ولكن ماذا هناك ليجعله يعجب بها؟ اخذت تتساءل بذلك وهي تعود إلى مكتبها، ذلك ان من الواضح عدم رغبته في وجودها... من الواضح انه يراها عبئاً ومسؤولية، وربما يشتم نفسه في كل مرة يراها على قبوله بأن يسمح لريتشارد بمقابلتها وتوظيفها.

ربما لو كانت هي مكانه، لشعرت بنفس الشيء بالضبط، وبعد ما هي الفائدة من الموظف الذي لا يمكن الوثوق به في العمل، والذي ينبغي مراقبته على الدوام، مثلها هي؟ واغرورقت عيناها بدموع المرارة وهي تجلس خلف مكتبها.

كان دانيال قد قال لها انهما سيخرجان خلال نصف ساعة، فأخذت تتفقد حقيبة كتفها التي تحتوي على الأوراق المهنية من مستندات واقلام ودفاتر، لم يكن لديها فكرة عن السبب الذي جعل دانيال يطلبها لمرافقته، ربما لم يكن يثق بها ليتركها وحدها في المكتب... إذ قد تجيب على الهاتف وتتحدث إلى زبون ما...

• • •

«هل أنت جاهزة؟»

اجفلت لصوت دانيال المفاجيء، ذلك انها كانت من الاستغراق في القراءة بحيث لم تسمع صوت دخوله مكتبها، طبعاً، كان عليه ان يأتي ليقف بجانبها، ما جعلها تضطرب بشكل حاد بحيث دفعت كرسيها إلى الخلف، وبدلاً من ان تنهض متحركة برشاقة ونعومة، إذا بها تقفز مرتبكة، وتقوم بحركات غير منسجمة كادت معها ان توقع الملف من على المكتب، بينما وقعت سترتها على الأرض.

«إسمحي لي.»

تملكها التوتر وهي ترى دانيال يسترد السترة قبل ان تصل هي اليها، ثم يحملها بيديه بحيث لم تجد من الخيار سوى ان تدعه يساعدهافي ارتدائها، لتبتعد عنه بعد ذلك بسرعة وهي تقول: «شكراً.»

«العفو.» وعندما استدارت إليه رأته ينظر إليها بتفكير عميق.

لم تكن شارلوت من ذلك النوع من النساء اللواتي يضعفن أمام الرجل، مهما كانت وسامته بالغة.

ودانيال كان وسيماً جذاباً، وهذا ما لا يمكنها انكاره، كان فيه شيء ما... شيء هو مزيج من الرجولة الفائقة ممتزجاً بشخصية دافئة... وكان هذا يرسل في كيانها التوتر.

لا عجب إذن في اختيار باتريشيا وينترز له ليكون زوجها الثاني اذا صحت هذه الظنون، اتراهما سيتزوجان؟ انهما عند ذلك سيؤلفان زوجين على درجة عالية من الامتياز الاجتماعي.

وإذ ذكرت نفسها بأن علاقاته الشخصية ليست من شأنها، تناولت حقيبتها، وقد سرها ان انسدال خصلات شعرها على وجهها اثناء انحنائها، قد سترا عنه التعبير الذي بدا على ملامحها.

قال لها وهما يخرجان من المكتب: «ان سيارتي في الخارج.»

وعندما فتح لها الباب لتخرج كانت السيارة الوحيدة التي رأتها شارلوت واقفة قديمة الطراز إلى أقصى حد، ولكنها ماركة جاغوار صالون ذات لون قرمزي لامع.

قال لها وهو يفتح بابها: «انها سيارة عمتي ليديا، وقد

تركتها لي، انني لا استعملها دائماً، ولكن جون وليديا كانا صديقين حميمين، وهو سيتمكن من رؤيتها من نافذته.» فلم تقل شارلوت شيئاً.

كانت المقاعد من الجلد وكان الجلد قديماً مهترئاً من بعض الأماكن، وتبدد شعور الغضب والاستياء لعدم ثقته بها، من نفسها ليحل مكانه شعور بالحزن والهجران، وكأنها منبوذة من وليمة حافلة، ولن تتمكن ابداً من الاستمتاع بها كغيرها، ذلك ان لديه كل هذا القدر من الحنان نحو كل شخص آخر، فلماذا لا يصلها شيء منه هي أيضاً؟

لكنها عادت فصرفت بأسنانها انها لا تريد عطفه، كما انها ليست بحاجة إليه.

كان يقود السيارة جيداً وبحذر، كما كانت تتوقع لقد كان بيفان يقود سيارته البورش بسرعة بالغة وبفروغ صبر، متجاهلاً المارة وبقية السيارات، كان على العكس تماماً من دانيال الذي أبطأ بالسيارة ليسمح لأم بقطع الشارع.

كان المبنى الذي يقيم فيه جون بالفور يبعد عن المدينة اميالاً قليلة، وعندما صعدا في الطريق نحوه، رأت شارلوت بعض الأشخاص المسنين إما سائرين أو جالسين في الحديقة، ملتفين بمعاطفهم جيداً، ردعاً للهواء البارد، وعندما اصبحا في داخل المبنى رأت الصالون الفسيح حيث كان البعض يلعب الورق، بينما يثرثر آخرون أو يتفرجون على برامج التلفزيون.

«ان لدى جون كرسيا بعجلات ما يمكنه من الانضمام إلى الآخرين، إذا شاء ولكنه من النوع العنيد فهو لا يستطيع ان يرى كم يحرمه عناده من البهجة والصحبة.»

فقالت شارلوت: «ربما هو يفضل العزلة.»

قال دانيال وهما يصعدان السلم: «ربما.»

لكنه لو كان يفضل العزلة، لما شعر بالحاجة إلى طلب دانيال بهذه الكثرة بحجة تغيير وصيته، اخذت تفكر في ذلك، وألقت نظرة قصيرة على دانيال، ولكنها لم تر في وجهه ما يشير إلى انه فكر في ان يشير لها إلى ذلك، وعبست قليلاً، لو كانت في مكانه لفعلت ذلك.

ولكنها ليست في مكانه، على كل حال، ولو كانت لاستطاعت ان تكون من الشهامة بحيث تسمح لمساعدتها الفاشلة المسكينة بأن تظن انها أحرزت نصراً.

وإذا بها تشعر فجأة بالامتعاض منه لتلك الشهامة كما لو أنه أشار إلى نقطة الضعف في نقاشها.

عندما وصلا إلى قمة السلم، تفرع الممر إلى جهتين متقابلتين وعندما استدارت شارلوت لوحدها نحو اليمين، لمس هو ذراعها قائلاً: «من هذه الناحية.» مشيراً نحو اليسار.

استدارت على الفور دون ان تعلم انها كانت شبه ملاصقة له، وعندما لم يحاول ان يتحرك، رفعت بصرها إليه مستطلعة بصبر نافد.

قال لها مجيباً على سؤالها الذي لم تنطق به: «لقد أدركت لتوي مبلغ ما انت عليه من ضآلة في الحجم.» تملكها سخط بالغ على الفور.

لقد كانت تكره دوماً أن يشير الناس إلى قصر قامتها، فقالت له ثائرة: «ان طولي خمسة اقدام وثلاث إنشات.» فرأته وكأنه يكتم ابتسامة.

لا شك في انه يفضل طويلات القامة من النساء، وتذكرت ان باتريشيا وينترز طويلة القامة.

«أظن هذا هو السبب في ارتدائك هذا الحذاء السخيف.»

قبضت يديها بعنف وعيناها تفيضان غضباً واستياء، «ان حذائي ليس سخيفاً.» قالت ذلك ببرودة، ذلك ان حذاءها كان في الواقع غالي الثمن وقد كانت تمنت شراءه مدة طويلة، حسناً إذا كان حذاؤها سخيفاً، فماذا يقول عن ثوبها القصير، إذن؟ ودفعها الشعور بالتعاسة إلى الاندفاع بالسير في الممر دون ان تنظر ما إذا كان دانيال يتبعها.

لماذا؟ لماذا ألقت خارجاً بكل ملابسها القديمة؟ قد لا تكون جميلة الطراز ولكنها ستكون مناسبة لدورها الجديد هذا في الحياة اكثر بكثير من هذه الملابس التي عليها ان ترتديها الآن.

فهذا الطقم الذي ترتديه الآن مثلاً، انها لم تدرك كم هي مثيرة تنورته القصيرة إلا هذا الصباح وهي ترى حاجبي والدتها يرتفعان عند مائدة الإفطار، كان القماش من الصوف الأسود الناعم كما كانت السترة مبطنة بالحرير، ومع القميص الأبيض، كان المفروض انه ثوب عملي، ولكن والدتها كانت قد علقت بجفاء بأنها مسرورة لأن زوجها قد تقاعد قبل ان ينتشر مثل هذا الطراز من الملابس في البنك الذي كان هو مديره.

قال والدها وهو يقهقه ضاحكاً: «هذا لا شيء، كان عليك ان تري التنانير التي كن يرتدينها في الستينات، كان علينا ان نستبدل امكنة الملفات، لأنه في كل مرة كانت الفتيات يصعدن إلى الأدراج العليا من الخزانات الموجودة، كان بالإمكان رؤية...»

قالت والدتها بحزم: «هذا يكفي يا جورج.»

كانت أرض الممر مكسوة بالمشمع وذلك لتسهيل التنظيف دون شك، وعندما سمعت شارلوت خطوات دانيال خلفها تتباطأ، ترددت ثم استدارت نحوه.

كان قد وقف امام احد الأبواب واخذ يقرعه، وعندما سارت نحوه لتقف بجانبه كان قد فتح الباب.

سمعته يقول: «مرحباً، يا جون، لقد احضرت لك معي زائرة هذا النهار.»

ثم تراجع إلى الخلف لكي تدخل هي امامه إلى الغرفة، كانت غرفة متسعة تحتوي على مدفأة بداخلها نار مشتعلة بهيجة للنظر، كان على كل جانب من المدفأة مقعدان كبيران، كما ان بجانب السرير كان يوجد كرسي بعجلات.

كان الرجل الجالس فيه أبيض الشعر، وقد غضنت السنون وجهه، كما لوى التهاب العظام مفاصل اصابع يديه. «ها... حسناً، انها جميلة تماماً، انها صديقتك الجديدة، أليس كذلك؟»

لم يمتلك شارلوت الاستياء لقوله هذا رغم ارتباكها لسماعه، فقد كانت تعودت طوال السنوات الماضية، معاملة الزبائن الذين في سنه من الرجال، وانهم لا يقصدون جرحها بنوعية كلامهم، فهم في الواقع كانوا يظنون انهم يمدحونها ويتوددون اليها.

«كلا يا جون، ان شارلوت هي مساعدتي الجديدة، وهي محامية مؤهلة.»

«هل هي محامية؟ حسناً، انها لا تشبه ليديا.»

تكهنت شارلوت من طريقة كلامه، ان ليديا جفرسون هي القياس الذي يقيس به كل امرأة تتبع نفس المهنة.

فقال له دانيال ما أدهش شارلوت: «كلا، انها لا تشبهها بالجسد، ولكنها تشبهها في نواح أخرى. بالمناسبة، كان على شارلوت ان تتنازل عن غدائها لكي تأتي معي، ولهذا أرى ان تدق جرسك هذا وتطلب لها فنجان شاي.»

أخذ جون بالفور بالتذمر قائلاً انها غرفته وليست غرفة دانيال، وانه قادر تماماً على ان يطلب لهم جميعاً الشاي بنفسه دون حاجة إلى من يقول له ذلك، «يجب ان اجعلك تحسم ثمن الشاي مما ستأخذه أجرة وصيتي الجديدة.» قال ذلك شاكياً وهو يرن الجرس الذي بجانب سريره، ولكن شارلوت كانت ترى خلف تذمره هذا سروراً إذ يجد عذراً لإطالة أمد زيارتهما.

لم يكن دانيال مستعجلاً للعودة إلى العمل، فقد اخذ يتحدث بإسهاب مع جون بالفور عن الخطة الجديدة لتغيير مركز المدينة، رافضاً ان يجر إلى نقاش عندما قال له الرجل العجوز ان المخططين لذلك يدمرون المكان، شاكياً من انهم يجعلونه غير مناسب ليعيش فيه أحد.

قال وهو ينظر من النافذة: «أرى انك مازلت تستعمل سيارة ليديا، كانت امرأة ممتازة عمتك تلك. لا وجه للمقارنة بينها وبين والدك، أما بالنسبة إليك... لا اظن الغرور قد تمنكك إزاء كل هذه الضجة التي تدور في الصحف حولك.»

أجاب دانيال برزانة: «أرجو ان لا يكون هذا، يا جون.»

عندما دخلت فتاة تدفع امامها عربة فوقها الشاي وطبق شطائر وبعض الكعك، نهض دانيال على الفور ليساعدها، ورأت شارلوت كيف احمر وجه الفتاة ثم ابتسمت له.

وعندما خرجت الفتاة قال جون: «من حسن الحظ انك لم

تدعها تسكب الشاي بنفسها، وإلا لسكبته على الصينية والعربة جميعاً.» ثم عبس وهو يسأله: «لا اظنك ما زلت تقابل أرملة وينترز، أليس كذلك؟» مظهراً بذلك انه لم يكن يعتقد على الاطلاق انها هي شارلوت، صديقة دانيال.

قال بول وهو يسكب الشاي: «لقد كان زوجها بول وينترز زبوناً لي.»

«ان هذه المرأة هي مصاصة دماء، فقد قبضت بمخالبها حقاً على بول العجوز، سمعت انها حصلت على كل شيء، ولن غوردون بقي دون شيء.»

فقال دانيال بهدوء: «لم يكن غوردون سوى ابن زوجته، ولهذا لم يكن له حق شرعي في الأملاك.»

«هذا صحيح، ولكنه كان بمثابة الابن لبول، فقد كان يقوم لأجله بكل شيء قبل ان تأتي هي، فتاة في الثالثة والعشرين تتزوج رجلاً بعمره، هي...»

«إن هذا يحدث احياناً.»

«نعم، ونحن جميعاً نعرف لماذا.»

توتر فم دانيال، بينما نظرت شارلوت بقلق إلى جون بالفور، من الواضح انه من اولئك الاشخاص الذين يحبون إثارة المشاكل وإحداث المواجهات، ولكن لابد انه يعلم مبلغ عدم رغبة دانيال في سماعه ينتقد باتريشيا، خصوصاً أمام شخص ثالث، وعلى الأخص امامها.

«يبدو أن هذا المنزل قديم جداً.» قالت ذلك بسرعة متجنبة النظر مباشرة إلى دانيال وذلك في محاولة منها لتغيير موضوع الحديث، دون ان تفهم السبب الذي جعلها تشعر بالحاجة إلى تغييره انها دوماً تكره الجدال، كما أخذت

تحدث نفسها بضيق، وليس لهذا علاقة بأية رغبة منها في حماية دانيال من هجوم هذا الرجل الانتقادي عليه، وبعد لماذا عليها ان تحميه؟

وتابعت تقول: «لا بد ان له تاريخاً خلاباً.»

ألقى عليها جون بالفور نظرة ساخرة للغاية: «من أين لي أن أدري؟ ان عمري ثلاث وثمانون سنة وليس ثمانمائة.»

فقال له دانيال: «لا تضايقها، يا جون فأنت تعلم تماماً ما قصدته شارلوت بسؤالها.» ثم قال لها باسماً: «نعم، ان له تاريخاً هاماً، وفي الواقع كان ملكاً لعمتي.»

تدخل جون بالفور قائلاً: «إلى ان منحته للمدينة ليكون مأوى للعجزة والمحتاجين.»

«لقد تركت عمتي المنزل للمدينة، هذا صحيح، ولكنهم لسوء الحظ لم يستطيعوا القيام بنفقات صيانته، وهكذا باعوه إلى مؤسسة خيرية هي التي تديره الآن، لقد كان أصلاً منزل والدي ليديا، وعندما ابتدأت عملها في مزاولة المحاماة، تشاجرت معهما لأنهما عارضا عملها، ثم اشترت منزل المدينة بمبلغ ورثته وقد مات شقيقها، والذي هو جدي، قبل والديه، وبهذا ورثت هي هذا المنزل، كانت تقول ان والدها حظر عليها دخوله اثناء حياته، وبعد مماته لم تشأ دخوله، وهكذا أجر مدة طويلة، ثم كما قال جون أوصت به للمدينة بعد مماتها.»

قالت شارلوت: «لا بد انها كانت امرأة غير عادية.»

فقال دانيال: «نعم، لقد كانت كذلك.» وبدت في عينيه لمحة حزن وكأنه مازال يفتقدها. «كانت تحب الاحسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى ثم...»

فقاطعه جون بالفور: «كانت عنيدة كالبغل، أعند امرأة رأيتها في حياتي.»

فضحك دانيال: «حسناً، نعم كانت كذلك، وهذه ميزة كنت انت وهي تشتركان فيها، أليس كذلك يا جون؟»

فعبس الرجل المسن، ولكنه لم ينكر ذلك.

استغرق الوقت ساعتين تقريباً، وذلك لإنجاز تغيير طفيف في وصيته، وبينما اخذت شارلوت تستمع، كانت تشعر ليس بالإعجاب، ليس بصبر دانيال فقط، وإنما بلباقته أيضاً.

عندما انتهوا، وقفت شارلوت ثم سارت نحو الباب، وبينما كانت تفتحه، سمعت جون بالفور يقول لدانيال: «هل انت واثق من انها محامية؟ انك لم تر ليديا قط مرتدية تنورة مثل هذه.»

شعرت شارلوت بجلدها قد اخذ يلتهب، وقبضت اصابعها على مقبض الباب بعنف، ولكنها لم تجرؤ على الالتفات إلى الخلف.

«انه طراز جديد، يا جون.» رد دانيال عليه بذلك، ولكن شارلوت ادركت من صوته انه كان يبتسم.»

وعندما هبطا السلم معاً لم تستطع ان تنظر إلى وجهه وقد جعل الاضطراب قلبها يخفق بضيق، فقد كان مزيج الخزي والضعف الذي طالت معاناتها منه في المدة الأخيرة، يكاد يخنقها، فهي لم تتعود فيض المشاعر كما يحدث معها الآن، فقد كانت دوماً فخوراً بقدرتها على السيطرة على نفسها، ولكن هذه السيطرة والإيمان بنفسها، قد تبددا الآن ما اصبحت معه بالغة الحساسية فياضة المشاعر.

عندما توقف دانيال ليتكلم قليلاً مع مديرة الملجأ،

تقدمته في السير لكي تخرج منديلاً ورقياً بسرعة من حقيبتها تمسح به دموعها.

وعندما وصل إليها، كانت تلقي بالمنديل بعيداً، فسألها: «ماذا حدث؟» وقطب جبينه قليلاً وهي تنظر بعيداً عنه، «هل انت مستاءة مما قاله جون عن ملابسك؟ ما كان لك ذلك، واظنه كان يمدحك بطريقته الخاصة.»

فقالت: «وطبعاً، إذا كانت تعليقات الناس على ملابسي لا تعجبني، يمكنني ان أرتدي تنانير اطول. أليس كذلك؟»

كانا قد أصبحا الآن خارج المبنى، وكانت قد اصبحت من السيطرة على مشاعرها الآن بحيث استدارت تواجه دانيال أثناء الطريق المبلط بالحصى.

«حسناً، لمعلوماتك الخاصة انا مرغمة على ارتداء هذه الملابس لأنني لا استطيع شراء سواها، هذا ما يحدث للناس الفاشلين في اعمالهم امثالي، انك طبعاً لا تعرف مثل هذه الأمور أو أي نوع من الفشل، أليس كذلك؟ اتظنني احب ان يحملق بي الناس متعجبين مما يجعلني أرتدي ملابس لا تناسب مهنتي على الاطلاق؟»

«شارلوت... يا فتاتي العزيزة، ليس ثمة خطأ في ملابسك في الواقع وبصفتي رجلاً بالطبع، اظنك.. تبدين بها في غاية الجانبية.»

وعندما اخذت تحدق به، منحها ابتسامة عريضة طفولية يعتذر بها عما قال: «ارجوك ألا تفهمي كلامي خطأ، ولكن هذه الملابس تضفي على المرأة جانبية خاصة...»

فقاطعته بصوت كالفحيح: «هذا ما اعنيه بالضبط، وهو هذا النوع من زهو الرجال، انكم انتم الرجال، متشابهون، لأنكم جميعاً تظنون ان المرأة تختار ملابسها لهدف واحد،

حسناً، لمعلوماتك الخاصة انني اختار ملابسي لإرضاء نفسي وليس لإرضاء الرجال.»

لكن شارلوت وهي تقول ذلك، كانت تعرف ان هذا غير صحيح، فقد اشترت هذه الملابس بتعليمات من بيفان، لأنها كانت تريد ان ترضيه.

شعرت بغصة في حلقها لما شعرت به من تعاسة واحتقار لنفسها.

وسمعت دانيال يقول: «أنا آسف.»

عندما وصلا إلى السيارة، سألها بهدوء: «شارلوت، هل صحيح انك لا تستطيعين دفع ثمن...»

لكن شارلوت كانت قد احتملت ما فيه الكفاية، لماذا؟ لماذا سمحت لطبعها بأن يفور ومن ثم يجعلها تدلي بذلك الاعتراف؟

فقالت له باختصار: «لا أريد التحدث في هذا الأمر.»

عندما اخذ يفتح باب السيارة، خيل اليها انها سمعته يقول عابساً: «مرة أخرى... هل هنالك شيء آخر لا تريدين التحدث عنه؟»

لكنها رأت ان من الحكمة تجاهل سؤاله، بدلاً من ان تغامر بكشف المزيد عن نفسها إذا هي اجابته.

الفصل الخامس

«انك لم تنسي موعدنا الليلة أليس كذلك؟» فلوت شارلوت اساريرها في سماعة الهاتف وهي تسمع سؤال شقيقتها: «كلا، لم انس، العشاء هذه الليلة في ذلك المطعم الإيطالي الجديد.»

«سآتي اليك إذن الساعة السابعة والنصف، ولا تنسي ارتداء ذلك الثوب.»

تأوهت شارلوت ثم ضحكت.

وجاءها صوت دانيال بجانبها يقول: «شارلوت، هل لديك ملف هايغام؟»

غطت فوهة السماعة بيدها وهي تتناول الملف من على مكتبها ثم تناوله لدانيال، ثم تقول لشقيقتها قبل ان تضع السماعة بسرعة: «عليّ ان اذهب الآن، إلى اللقاء هذا المساء.»

كانت ما تزال تشعر إزاء دانيال بالضيق والتعاسة منذ انفجارها تلك الليلة خارج الدار، ما الذي تملكها فجعلها تقول ذلك الكلام الغبي عن عدم قدرتها على شراء ثياب مناسبة؟ ان آخر ما كانت تريده هو استدرار شفقته، ولكنها قد قامت بذلك فعلاً.

لولا دانيال لاستقرت في وظيفتها بارتياح وسعادة... بسعادة تامة في الواقع... ولكنها طوال الوقت كانت تحس بقلة ثقته فيها، ما كان يشعرها بالألم والضيق.

كانت تتناول الغداء مع جيني مسرورة للخروج معها في آشعة الشمس عندما حانت الساعة الواحدة أخيراً.

تناولا غداءهما في مقهى صغير يبعد عدة شوارع، وكانت شارلوت تنظر متسلية إلى موظفي البنك المقابل الشبان وهم يلاحقون جيني بنظرات الاعجاب، عندما أدركت انها هي أيضاً تحظى بنفس نظرات الاعجاب، ولكنها اكثر تعقلاً وذلك من رجل كان جالساً وحده على بعد عدة موائد، ولكنها تجاهلته مركزة اهتمامها في طعامها.

كانت جيني تثرثر بسعادة عما ستفعله في عطلتها الأسبوعية وكانت تقول ضاحكة: «يا للسيد جفرسون المسكين، لقد اتصلت السيدة وينترز به هذا الصباح، وهي ستأتي لرؤيته عصر هذا اليوم.»

قالت شارلوت: «ربما هو يريد رؤيتها.»

فقالت جيني مؤكدة: «هذا غير ممكن، فهي ليست النوع الذي يعجبه، انني أراهن انه لا يريد ان يراها على الاطلاق لو لم يكن ذلك بسبب...»

وسكتت فجأة وقد احمر وجهها شعوراً بالذنب، وأدركت شارلوت ان الفتاة قد غيرت رأيها في ما كانت تريد قوله، فلم تلح عليها لكي تستمر، إذا كان هنالك شيء يتعلق بعلاقة دانيال بباتريشيا وينترز فليس مسموحاً لها بمعرفته، فلا بأس في ذلك.

لم تعد جيني إلى ذكر دانيال أو باتريشيا، ولكن استمتاع شارلوت بطعامها قد تلاشى، وعندما سارتا معاً عائدتين إلى المكتب، اخذت تتساءل عن السبب الذي جعلها تتضايق من ذكر علاقة شخصية بين دانيال وباتريشيا، ثم ما الذي يجعلها تهتم بحياة دانيال الشخصية؟

عندما عادت إلى مكتبها كان الباب الموصل مفتوحاً، ما جعل بامكانها أن تسمع اصواتاً في مكتب دانيال، وكانت على وشك اغلاق الباب عندما سمعت اسمها، فجمدت مكانها على الفور، غير قادرة على منع نفسها من الاستماع، «ولكن لماذا هي مساعدتك الشخصية، يا دانيال؟ انك تفضل العمل منفرداً فهذا ما سمعتك تقوله مرة، وإذا بك فجأة تتخذ.. هذه... هذه المرأة... ثم لماذا امرأة... لماذا ليس رجلاً؟»

أمسكت شارلوت بأنفاسها وقد انغرزت اظفارها في راحتيها وقد تملك التوتر كيانها في انتظار جواب دانيال، ثم سمعته يقول: «لم اكن انا الذي وظفتها، يا باتريشيا، انه ريتشارد الذي أجرى لها المقابلة، انه... نحن الاثنين كنا نشعر بأن عبء العمل قد ازداد بالنسبة إلينا بحيث لم يعد لدينا وقت كافٍ لزبائننا.»

«نعم، ولكنها مساعدتك أنت، وهي تشتغل لأجلك مباشرة، وفي قضاياك.»

بدا لشارلوت وهي تستمع، وكأن وقتاً طويلاً مضى قبل ان يجيب دانيال قائلاً: «نعم، لقد شعرت بأن من الحكمة ان تتعاون معي، في البداية على أن تعمل مستقلة بعد ذلك.»

«انك تعني انها ليست كفوءاً بالنسبة إلى العمل، لماذا وظفها ريتشارد إذن؟ فهي ليست جميلة إلى ذلك الحد.»

أجاب دانيال: «انها مؤهلة بشكل ممتاز.»

قالت باتريشيا هازئة: «نعم، انها مؤهلة جيداً بحيث عليك ان تشرف على عملها، حسناً، سأقول لك هذا يا دانيال... وهو انني لا أريدها ان تشترك في معاملاتي.»

تلاشت اصواتهما تدريجياً، ما تكهنت شارلوت معه بأنهما يسيران نحو باب الخروج.

انتظرت إلى ان شعرت به يفتح واطمأنت إلى انهما قد اصبحا خارج المكتب في الممر فأغلقت الباب الموصل ثم اتكأت إليه وجسمها ينتفض تأثراً وخيبة أمل، إذن فهي على صواب منذ البداية، فهو لا يثق بها، وتلك اللحظات المختصرة، والأحاديث القليلة اثناء الأيام الماضية، عندما كانت تتساءل عما إذا كانت سارا على صواب في أنها سمحت لنفسها بأن تسيء الحكم على الوضع، كل ذلك لم يكن سوى خداع للنفس.

انها تكرهه... تكرهه... ولكن ليس اكثر مما كرهت نفسها، تمنت لو انها تدخل مكتبه لتخبره بما عليه ان يفعل بوظيفته هذه... ولكن هل بإمكانها ذلك؟

رغم اشمئزازها من ان تعترف بذلك لنفسها، كان وراء غضبها هذا شعور عكسي بالغ الخطورة هو أقرب إلى الشعور بالنبذ، بجرح في الكرامة... ذلك النوع من الشعور الذي يمتلك المرأة عندما تكتشف أن الرجل الذي تنجذب اليه لا يريدها.

ما الذي جرى لها؟ اخذت تتساءل بهذا حانقة، انها غير منجذبة اليه طبعاً، وكيف يكون ذلك وهي تعلم رأيه فيها؟ ان كرامتها لن تسمح لها بأن تنجذب إلى رجل من الواضح انه لا يفكر فيها.

لكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من ان تتذكر العطف والرقة اللذين كان يغمر بهما امثال جون بالفور، سخفاء غير ملائمين مثلها.

كانت تفضل كثيراً لو انه كان صادقاً معها بدلاً من ستر

مشاعره نحوها بابتسامات ومودة زائفة، لأنها كانت احياناً، عندما كان ينظر اليها ويبتسم لها، كانت تنسى عداءها وامتعاضها منه، لتجد نفسها منجذبة اليه، حتى انها تشعر بالرغبة في الاستمتاع بإعجابه ورضاه، ولكنها لن تخضع بعد الآن لذلك النوع من الضعف.

لقد سمعته فعلاً يعترف بما يؤكد شكوكها، فماذا تريد من البراهين اكثر من ذلك؟

وعندما حان الوقت لخروجها والذهاب إلى بيتها، تملكها السرور، وفي سيارتها حدثت نفسها بأن من السخافة ان تدع ذلك الشعور يتملكها... الشعور بالألم لرأي رجل فيها، وخصوصاً عندما يثبت ذلك الرأي ما سبق وشعرت به.

بعد ظهر هذا النهار عندما خرجت باتريشيا وينترز، ساورتها رغبة في دخول مكتبه لمواجهته بما سمعت، لتقول له انها هي نفسها واعية لفشلها ولا حاجة به لتأكيد ذلك لها.

ما الذي تريده منه في الحقيقة؟ اخذت تسأل نفسها ذلك بعد نحو ساعتين، بعد ان استعدت لتمضية المساء مع شقيقتها، تفهمه.. عطفه.. رقته وشهامته... استحسانه واعجابه بعملها، ولكن لماذا؟ لماذا يهمها رأيه فيها وفي مثل هذا الوقت القصير الذي مر عليها في العمل معه؟

ولكنها ما لبثت ان نبذت هذا السؤال وكأنها تقريباً تخاف من المواجهة.

قالت لها سارا بعد ذلك بنصف ساعة وهما تتجهان بالسيارة إلى المدينة، قالت: «تبدين هادئة جداً، هل كل شيء على ما يرام؟»

«نعم، نعم، جيدة تماماً.» اجابت شارلوت بذلك بفتور، ولكنها أحست ان شقيقتها لم تنخدع.

فقالت سارا: «انك لم تلبسي تنورتك القصيرة.»

فقالت شارلوت: «هذا صحيح.»

ذلك انها كانت عثرت على ثوب آخر رأته اكثر ملاءمة، وكان ثوباً أسود من الجيرسي فضفاض الطراز، ما بدا معه أنيقاً جذاباً، وأحسن ما فيه انه كان اطول كثيراً من معظم ثيابها، فقالت سارا: «حسناً، يجب ان اعترف بأن ثوبك هذا أعجبني.»

اخذت سارا والتي كانت قد سبق وتناولت من قبل الطعام في هذا المطعم الايطالي، اخذت تدلها على الطريق خلال المدينة إلى ان اوقفت شارلوت السيارة على قطعة أرض خالية امام المطعم.

كان المطعم من الداخل اجمل مما كانت توقعت، قادهما النادل أولاً إلى المقصف حيث نظرتا في قائمة الطعام ثم امرتا بما تريدان.

اكثر الزبائن كانوا ازواجاً، وبعضهم كانوا رجال اعمال، وبعد ان امرتا بطلباتهما، اخذهما النادل رأساً إلى مائدتهما.

بعد ان جلستا، قالت شارلوت تحدث شقيقتها: «انه لا يبدو كما كنت اتوقع تماماً.»

لوت سارا اسارير وجهها: «لقد احضرني توني إلى هنا في عيد زواجنا، فظننت انه سيعجبك، فأنا اعرف كم تحبين الأطعمة الايطالية.»

كانتا قد تلقتا لتوهما أول نوع من الطعام، عندما انحنت سارا فجأة على المائدة وقالت بصوت خافت: «لا تلتفتي إلى الخلف، الآن ولكنني واثقة من ان رئيسك قد دخل لتوه.»

«رئيسي؟» وكادت الشوكة تسقط من يد شارلوت. «اتعنين دانيال جفرسون؟»

نعم، على الأقل يبدو شبيهاً له، ان ثمة امرأة برفقته، انها طويلة القامة وقاسية المظهر بعض الشيء، سوداء الشعر، انهما يجلسان إلى احدى الموائد، اظن بإمكانك ان تنظري الآن.»

حدثت شارلوت نفسها بأنها لن تنظر، وان كونه دانيال أم لا هو أمر لا يهمها على الاطلاق، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من القاء نظرة سريعة إلى حيث يجلسان، واخذ قلبها يخفق بسرعة عندما رأت دانيال ينظر اليها مباشرة.

أدارت رأسها بسرعة، وإذا بالذعر يتملكها وهي تسمع سارا تقول: «اظنه لا بد قد رآك، يبدو كأنه قادم في اتجاهنا.» هذه المرة لم تلتفت شارلوت، ولكنها شعرت بلحظة وصوله بالضبط عندما شعرت بالتوتر يتملكها بعد إذ أحست مشاعرها بوجوده.

«شارلوت، انه انت حقاً.»

قدمته شارلوت إلى شقيقتها عابسة، وصرفت بأسنانها وهي تسمع شقيقتها تمزح معه بشكل صريح، وتخبره بأنها كانت رأته على شاشة التلفزيون.

قال لهما معاً: «كنت أود لو دعوتكما للجلوس معنا، ولكن باتريشيا تريد ان تتحدث معي في بعض الشؤون العملية.»

لم تستطع شارلوت ان تمنع نفسها من ان ترمقه بنظرة ساخرة جعلته يقطب جبينه قليلاً وكأنه يريد ان يقول شيئاً، ولكنه عاد فغير رأيه.

عندما تركهما قالت سارا: «آه، والآن هذا من استطيع ان أدعوه رجلاً أما المرأة التي ترافقه، فقد كانت نظراتها اليك

كطعن الخناجر عندما كان واقفاً هنا، قد يتصور هو انهما يعقدان اجتماع عمل، ولكنني اشك في ان هذا هو رأيها كذلك. عليك فقط ان تنظري إلى الثوب الذي ترتديه وإلى ياقته المكشوفة بشكل فاضح.»

لكنها قطبت جبينها وسكتت عن الكلام وهي ترى الطريقة التي كانت شارلوت تعبث فيها بطعامها: «شارلوت ما هذا؟ ما الذي حدث؟»

أجابت شارلوت: «لا شيء.» ولكنهما كانتا تعلمان هما الاثنتين، انها كاذبة، كانت شارلوت تشعر بالذنب إلى حد جعلها تعيسة، فقد كانت تعلم ان شقيقتها احضرتها إلى هنا لترفه عنها، ولكن ها هي ذي تتصرف كطفل.

قالت تعتذر لشقيقتها، مرغمة نفسها على الابتسام: «انا آسفة يا سارا، المسألة هي فقط... حسناً، كان يعلم انني قادمة إلى هنا هذه الليلة، لقد دخل المكتب بينما كنت اتحدث معك في الهاتف. لماذا احضرها إلى هنا؟ الأمر يبدو وكأنه...»

«وكأنه ماذا؟» ألقت عليها سارا هذا السؤال وقد رقّت اساريرها فجأة وهي تميل على المائدة وتمسك بيد أختها، وهي تقول بلطف: «اتعلمين ماذا اظن؟ اظنك ابتدأت تقعين في غرامه.»

نزعت شارلوت يدها من قبضتها على الفور، وهي تقول: «لا تكوني سخيفة، فانا لا أكاد أعرفه.»

«منذ متى كان للزمن علاقة بالحب؟ لقد وقعت في غرام توني بعد لحظات من معرفتي به، عندما كان يتراجع بسيارته فاصطدم بسيارتي، ثار غضبي، ولكن عندما نزل من سيارته وتقدم نحوي ليعتذر إليّ، ألقيت عليه نظرة

واحدة وإذا بي فجأة لا أهتم حتى ولو كان حطم سيارتي بالكامل.»

قالت شارلوت بتعاسة: «ذلك كان أمراً مختلفاً، فقد شاركك توني مشاعرك.»

«إذن، فأنت تعترفين بأنك تشعرين نحوه بشيء ما.» هتفت سارا بذلك ولكنها ما لبثت ان اعتذرت وهي ترى ما بدا على ملامح شقيقتها.

قالت لها شارلوت بتعاسة: «لم اعد اعرف كنه شعوري بعد الآن، كل ما اعرفه هو أنني أتمنى لو لم أعرفه... سارا... انه لا يثق بي، ولا يهتم بأي شيء آخر. انه يظنني فاشلة، وهو على صواب...»

قاطعتها شقيقتها بجفاء: «لم يظهر عليه انه يظنك فاشلة عندما جاء ليتحدث إلينا الآن.»

فقالت شارلوت مكشرة: «ليتحدث إلينا؟ انه كان يوجه الحديث اليك وليس إليّ.»

«ولكنه كان ينظر اليه انت.»

«اسمعي، لا أريد ان اتحدث عن ذلك، هل لنا ان نغير الموضوع من فضلك؟»

أجابت سارا بوجه رزين: «فليكن، اذا كان هذا ما تريدينه، ما الذي تحبين ان نتحدث عنه؟ ان لدى والدنا أملاً كبيراً في ان يأخذ الجائزة الأولى في المعرض المحلي هذا الصيف. أنا شخصياً أظن بإمكانه أن يدخل الكثير من المنافسات، فالسيد تورنكروفت العجوز...»

قاطعتها شارلوت: «لا بأس، لا بأس، ولكن لا فائدة من الحديث عن دانيال، يا سارا، لا فائدة من ذلك، فالأمر لا

رجاء فيه.» وابتسمت لشقيقتها بكآبة، «انني اعلم ان قصدك حسن، ولكن الحديث عن ذلك لا جدوى من ورائه، ان افضل شيء بالنسبة إليّ هو ان اتوقف عن التفكير فيه، فلا استمر في تركيز ذهني عليه.»

اخذتا بقية الوقت تثرثران في مواضيع مألوفة عن شؤون الأسرة، أولاد سارا، وعن طفولتهما معاً، ولكن شهية شارلوت كانت قليلة بالنسبة للطعام الفاخر، إذ كانت تعبث به في أنحاء الطبق، ما بعث الضيق في نفس النادل.

منذ اللحظة التي رأت فيها دانيال مع باتريشيا، كان كل ما أرادته هو الاختفاء، ولكن الكبرياء جعلتها تبقى عند مائدتهما، لم تكن تريده ان يرى مبلغ تأثيره عليها.

ومع ذلك فقد شعرت بالارتياح عندما انهت سارا فنجانها الأخير من القهوة الايطالية، ثم أعلنت انه ربما حان وقت العودة.

كان الجو في الخارج على شيء من البرودة، فكانت شارلوت مسرورة لكون السيارة قريبة، حيث انها لم تحضر معها معطفاً، فتحت بابي السيارة، ثم دخلتا. ولكن عندما ادارت المفتاح لتشغيل المحرك، رفض المحرك العمل.

سألتها سارا بقلق: «ما هذا؟ ماذا حدث؟»

فقالت شارلوت: «لا أدري.» ولكن عندما ألقت نظرة على المؤشر، غاص قلبها.

ثم قالت لشقيقتها بصوت فاتر: «لقد فرغ البنزين.»

«ماذا؟ آه، كلا، ان اقرب محطة بنزين إلى هنا تبعد ميلين سيراً على الاقدام.»

فقالت شارلوت: «نعم، اعلم هذا، امكثي هنا وسأذهب أنا...»

«كلا، لا يمكنك القيام بعمل كهذا، ان سير المرأة وحدها في الطريق في هذا الوقت من الليل، غير آمن، ان بإمكاننا ان نتصل هاتفياً بوالدينا.»

هزت شارلوت رأسها: «ان قدومهما إلى هنا سيستغرق وقتاً اطول مما لو ذهبنا إلى المحطة ورجعنا.»

وأخذت شارلوت تنزل من السيارة، وهي ترتجف من البرد الذي تخلل ثوبها الرقيق.

حتى انه لم يكن لديها علبة بنزين في صندوق السيارة، كانت في العادة حريصة على ان يكون خزان سيارتها مليئاً بالبنزين ولكنها تأخرت في عملها عدة امسيات، فكانت تجد محطة الوقود مقفلة، ومن ناحية أخرى كان انشغال بالها البالغ قد جعلها تنسى تفقد كمية البنزين في الخزان.

كان بجانب سيارتها عدة سيارات واقفة، المفروض انها تعود لزبائن المطعم، وعندما استدارت حول السيارة إذا بها تجمد مكانها.

كان هنالك شخصان يعبران الطريق متجهين باتجاههما وعرفتهما على الفور، كانت باتريشيا وينترز تسير شبه ملاصقة لدانيال وهي تتكلم معه.

ظنت شارلوت في البداية انه لم يرها، ولكنه وقف فجأة وترك باتريشيا متقدماً نحوهما.

ثم سألها قائلاً: «هل كل شيء على ما يرام؟»

كان أول ما خطر لشارلوت ان تنكر ما حدث، ولكن سارا كانت أسرع منها وهي تقول لدانيال بأسف: «يبدو ان السيارة خالية من البنزين.»

فقالت شارلوت: «لا بأس في ذلك، فقد كنت على وشك

الذهاب إلى المحطة لاحضار ذلك.» أسرعت شارلوت بهذا القول وهي ترى دانيال يقطب جبينه وهو ينظر اليها، ثم قال بحزم: «لا يمكنك ان تفعلي هذا، فهذا خطر جداً، اسمعي لماذا لا أوصلكما انتما الاثنتين؟ ان هذا هو الأنسب كما يبدو، واظن سيارتك ستكون بأمان تام هنا، يا شارلوت، إذا انت اقفلتها.»

أخذت شارلوت تقول: «لا لزوم لهذا.» ولكن سارا سارعت تسبقها بالرد مرة أخرى، وهي تبتسم لدانيال بحرارة: «شكراً لك هذه شهامة كبرى منك.»

وهكذا لم يكن لدى شارلوت من خيار سوى أن تقفل السيارة ومن ثم تسير المرأتان مع دانيال إلى سيارته.

لم يكن يقود سيارة عمته هذه المرة، ولكن سيارة مرسيدس صالون صغيرة.

ومن نظرة من شارلوت إلى وجه باتريشيا، رأت مبلغ ثورتها الغاضبة، وهي تقول بعد ان أوضح لها دانيال ما حدث: «كيف يبلغ الغباء ببعض الناس إلى حد يسمح بأن تفرغ سيارته من البنزين؟»

فقال دانيال بنعومة: «هذا يحدث بسهولة، فقد حدث معي، أنا نفسي، مرتين. هيا، فلندخل السيارة، فالجو بارد هنا.» ثم فتح الأبواب وتقدم بخفة نحو شارلوت وهو يفتح لها الباب لتدخل وذلك بشكل جعل فيه جسمه يحميها من الهواء البارد.

لم يفعل ذلك متعمداً بالطبع، وإنما كان فقط يفتح باب السيارة، ولكنها مع ذلك شعرت بهذه اللحظات القليلة التي نجت فيها من البرد، شعرت وكأنها تسبح في مشاعر دافئة للغاية.

كان دانيال يسأل سارا بالضبط أين تريدان ان ينزلهما،

وعندما اخبرته قال: «سأنزلكما إذن بعد باتريشيا، حيث ان منزلها هو الأقرب.»

وفي الظلام في المقعد الخلفي من المرسيدس، ضغطت سارا يد شارلوت بشكل ذي معنى، فانتبهت شارلوت من هيئة رأس باتريشيا الغاضبة انها كانت بعيدة عن السرور لاقتراح دانيال هذا.

وكما كانت شارلوت توقعت، كان منزل باتريشيا بالغ الاتساع، كما كانت مقدمته تسبح في الأنوار وهو يصعدون الطريق إليه.

عندما أوقف السيارة، قالت باتريشيا له بلهجة لاذعة للغاية: «أرجو انك على الأقل سترافقني إلى الباب.»

فقال بحرارة: «طبعاً.» وبينما انتظرت سارا وشارلوت في السيارة وقف هو عند الباب يتحدث مع باتريشيا قليلاً قبل ان تتوارى في الداخل.

قالت سارا لشارلوت وهما ينتظران عودة دانيال إلى السيارة: «حسناً، تلك امرأة لم تسرها قط نهاية الأمسية هذه.»

لم يكن بقي للوصول إلى منزل والدي شارلوت سوى عدة اميال، ولكنها رحلة بدت في نظر شارلوت بطول الأبدية، لقد اكتشفت عندما وقفت السيارة أخيراً امام منزل والديها، انها كانت من التوتر، بحيث اخذت عضلاتها تؤلمها.

كانت سارا هي التي شكرت دانيال لشهامته هذه، ذلك أن شارلوت لم تستطع ان تحمل نفسها على النظر إليه. أية امرأة غبية سيراها، بالرغم مما قاله عن ان من الممكن لأي شخص ان ينفد الوقود لديه كان عملها هذا بالغ الغباء، ولكن الذي اخافها اكثر من أي شيء آخر، هو كم اظهر هذا مبلغ ضعف

التركيز لديها، ماذا لو انها اقترفت نفس الغلطة اثناء عملها؟ ماذا لو انها نسيت أو تجاوزت شيئاً هاماً في احدى القضايا؟

ارتجفت لهذه الفكرة، ما جعل دانيال يقول لها بشيء من الخشونة: «انك تشعرين بالبرد، وكان عليك ان تحضري معطفاً معك، حسناً لا تهتمي بالحضور إلى العمل في الوقت المحدد غدا اذا انت تأخرت بإحضار سيارتك.»

• • •

قالت سارا توئنب شارلوت برفق عندما أصبحتا داخل البيت: «حتى انك لم تشكريه، فهو كان بالغ الشهامة معنا.»

منحتها شارلوت بابتسامة باهتة، بينما تابعت سارا تقول: «ثم لماذا كل هذا الكلام عن عدم ثقته بك أو رضاه عنك؟ لقد بدا لي طوال الوقت بالغ الاهتمام بك وهو يزعج نفسه لأجلك، كان واضحاً ان باتريشيا وينترز لم تكن مسرورة على الاطلاق لافساد سهرتها معه بوجودنا.»

فقالت شارلوت بفتور: «انها طبيعته كذلك، وهذا لا يعني شيئاً.»

رفعت سارا حاجبيها: «أحقاً؟ عندما ارتجفت، خيل إليّ لحظة انه سيخلع سترته ويلفك بها.»

فاحمر وجه شارلوت وانتقلت بضيق من قدم لأخرى، وهي تقول: «لا تكوني حمقاء فأنت دوماً صاحبة مخيلة خصبة.»

«اتظنين ذلك؟ اظنك من الانغماس في الأسى على نفسك، بحيث لا تريدين ان تري الحقيقة.»

فقالت شارلوت غاضبة: «هل لأنه كان مهذباً؟ وماذا في ذلك، انه كما سبق واخبرتك، هذه هي طبيعة فيه.»

«كما ترين.» قالت سارا ذلك، ولكن شارلوت رأت انها لم تقتنع.

قالت سارا متأملة: «من المؤسف انني كنت معك طوال الوقت، وإلا كان انفرد بك ثم...»

«سارا، أرجوك، لا أريد...»

جعل العذاب الذي بدا في صوت شارلوت، جعل سارا تسكت وهي تنظر إلى شقيقتها باهتمام: «انني آسفة، لم أكن أعني... انك مغرمة به، أليس كذلك؟»

«كلا، كلا، طبعاً لا.» قالت شارلوت ذلك مستنكرة، ولكن لهجتها كانت غير واثقة ولا مقنعة حتى في أذنيها هي.

بعد ان مضى موعد نومها بوقت طويل، كانت ماتزال مستيقظة في فراشها، محاولة ان تتخلص من هذا التوتر في مشاعرها.

كيف امكن ان تقع في غرام دانيال؟ كان هذا مستحيلاً... وحماقة بالغة.

دفنت وجهها في وسادتها، محاولة ان تخنق آهة الاحتجاج التي صدرت عنها.

لا يمكنها ان تحبه، يجب ان لا تحبه، ولكنها وهي مستلقية هناك، وقد احمرت عيناها لكثرة ما ذرفت من دموع، أدركت انها تحبه.

الفصل السادس

لم يكن دانيال يثق في حكمها... وكان هذا ما تعرفه شارلوت، ولكنها مع مرور الأيام، اخذت تتساءل عما إذا كانت سارا على صواب وعما إذا كانت هي قد سمحت للشكوك وقلة الثقة بالنفس الناتجة عن فشلها في المحاماة يؤثر عليها، لأن اسئلة دانيال لها عن آرائها في مختلف نواحي قضاياه، اسئلته تلك قد اخذت تزداد، كما اخذ يشركها في إجراء المقابلات لزبائنه وذلك في المكتب، وحين يكون عليه ان يزور زبائنه، حتى انه اخذ يمدحها للعمل الذي قامت به في تنظيم قضية احد زبائنه، قائلاً لها انها لمست في تلك القضية ناحية بالغة الأهمية كانت قد حيرته زمنا.

تعودت شارلوت على رؤيته يقف بجانبها عند المكتب وهو ينحني عليها ليرى ماذا تفعل، وبينما كانت تراه في البداية وكأنه يراقبها غير واثق بها، ابتدأت رؤيتها لذلك الآن على ضوء قبول صادق للنقاط التي كانت تقدمها.

في عصر احد الأيام عندما كانت تشرح له بحماسة، سابقة غير معروفة تماماً شاعرة بأنها قد تقوي من قضية كان مشكوكاً في أمرها، وإذا به فجأة ينظر اليها باسماً، وهو يقول برقة بالغة: «يا للعاطفة المشبوبة انني أكاد اتمنى...»

اما ما كان يتمناه فلم يخبرها به قط، ذلك لأن آن دخلت

مسرعة إلى مكتبه لتخبره بأن زبوناً قد جاء بشكل غير متوقع وهو في غرفة الاستقبال، وكان دانيال ما يزال معه عندما انتهى دوام العمل وذهبت إلى بيتها.

قالت لها سارا أثناء العطلة الأسبوعية: «لقد اصبحت اكثر بشاشة بكثير من السابق.» وكانت قد جاءت مع ولديها اللذين كانا في الحديقة يساعدان جدهما، بينما كانت سارا وشارلوت ووالدتهما يجهزن الغداء.

«لا اظن لذلك علاقة بذلك المحامي الجذاب الذي نعرفه، نحن الاثنتين أليس كذلك؟»

ضحكت شارلوت ولكنها رفضت ان تجيب، لقد كانت مشاعرها ماتزال اكثر حداثة ورقة من ان تتحدث بها لأي شخص، وبجانب ذلك فإن دانيال لم يقل أو يفعل ما يدل على ان لها عليه نفس التأثير الذي له عليها هذا اذا استثنت طريقة ابتسامته لها، أو الرقة الزائدة في عينيه وهو ينظر إليها.

كان تأثير دانيال عليها يفوق كثيراً تأثير بيفان، وشعرت بالارتباك لاتجاه افكارها، لم يكن ثمة جدوى من ان تنكر انها كانت تمض معظم اوقاتها في احلام اليقظة عن دانيال.

* * *

كانت العطلة الأسبوعية تلك سعيدة للغاية وشارلوت تشعر بالارتياح والسرور من نفسها ومن العالم اجمع، كما لم تشعر منذ مدة طويلة، ولم تعرف مقدار النكد الذي كانت سببته لحياة الآخرين كما سببته لنفسها، إلا بعد ان سمعت

والدتها تقول وهي تراها تلعب مع ابني شقيقتها انها لم ترها تضحك منذ وقت طويل، فقالت تعتذر: «انني آسفة يا والدتي، لقد كنت صعبة المعشر مؤخراً، أليس كذلك؟»

فقالت لها والدتها بلطف: «لقد كان لديك سبب وجيه يجعلك تعسة.»

وفي طريقها إلى عملها صباح الاثنين، لم تكن شارلوت تشعر بالسعادة والرضا فقط، وإنما كانت تتطلع بلهفة إلى الوصول إلى العمل، كذلك وليس فقط لأنها اصبحت تعرف مواقع قدميها، ما جعلها تستمتع بالعمل، حتى ثيابها التي كانت تشعر بالضيق واليأس، لم تعد تبدو وكأنها في غير مكانها، كما كان الأمر سابقاً، وعندما صفر لها رجل بعد ان أوقفت سيارتها وسارت نحو المكتب، بدلاً من ان تشعر بالإستياء والضيق، نظرت حولها ثم ضحكت شاعرة بالتفكهة وهي تراه يحمر خجلاً بينما رفيقه يغيظه، قالت لها آن عندما رأتها: «انك مرحة هذا الصباح.»

فأجابت تسألها: «هل استمتعت بعطلتك الأسبوعية؟»

تنهدت آن: «كلا، ان الطفل يرفس في بطني وكأن له أربع سيقان وليس اثنتين، وزوجي يشكو من انني جعلته مستيقظاً طوال الليلة الماضية، لقد شعرت بالارتياح تقريباً عندما جئت للعمل هذا الصباح.»

فابتسمت شارلوت بعطف، ان آن تبدو متعبة فعلاً كما ان حملها قد تقدم كثيراً الآن.

وتابعت آن تقول: «اتمنى لو ان مثل هذا المرح ينتقل إليّ، لقد رأيت دانيال منذ دقائق وكان مليئاً ببهجة الربيع وهو أيضاً... انتما الاثنين وضعتما شيئاً في قهوتكما؟»

كانت آن تشرب الشاي لأجل الطفل، وضحكت شارلوت ولكنها هزت رأسها لتدع شعرها يغطي احمرار وجهها.

انشغل دانيال هذا الصباح بمواعيد متعددة، وقبل الغداء بالضبط جاء إلى مكتب شارلوت ليخبرها بأن احدى قضاياه قد قدمت على غيرها بشكل غير متوقع وهذا يستدعي وجوده في المحكمة بقية هذا النهار.

كانت تراجع بعض الأمور عندما دخل، وعندما نظرت إليه احمر وجهها وهي تنظر إلى الطريقة التي كان بها يمعن النظر إليها. أخذ قلبها يخفق كما شعرت بدوار خفيف، هذا إلى شعور بالغ بالسعادة افتر له ثغرها عن ابتسامة حارة.

قال لها: «كنت مصمماً على ان نتناول الغداء معاً هذا النهار.» وعندما قفز قلبها إثارة اضاف يقول: «هناك عدة قضايا أريد مناقشتها معك حيث ان المحاكمات سيحين موعدها بسرعة، ويبدو اننا لن نجد وقتاً كافياً لها هنا.» ونظر إلى ساعته: «ولكن لن يكون لدينا وقت لسوء الحظ.»

أومأت شارلوت برأسها دون ان تستطيع الكلام، بينما تابع هو فسألها بشكل غير متوقع: «انك سعيدة هنا يا شارلوت، أليس كذلك؟»

فأومأت مرة أخرى، فتابع يقول: «هذا حسن، لأنني لا أريد ان أخسرك.»

نظرت شارلوت إليه، غير قادرة على ستر عواطفها، بينما تابع هو يقول: «انك ذات قيمة بالغة للشركة.»

أخذ الاحمرار يتعاقب في وجهها، لقد تملكها ذهول بالغ لمديحه غير العادي هذا، ما جعلها لا تستطيع قول أي شيء،

بعد خروجه بوقت طويل، لم تستطع ان تفعل شيئاً سوى الجلوس في كرسيها والتحديق في الجدار بعينين لا تريان، بينما صدى كلماته لا تبارح ذهنها.

انه لا يريد ان يخسرها، وهو يراها ذات قيمة، وفجأة، شعرت بأن لا شيء هناك لا يمكنها القيام به، ولا هدف لا يمكنها نيله، ومضى عليها الوقت مزيجاً من السعادة واحلام اليقظة، لتكتشف فجأة ان الساعة قد اقتربت من الرابعة والنصف دون ان تنجز شيئاً طوال عصر ذلك اليوم.

قالت تخاطب نفسها بأنها ذات قيمة بالغة حقاً، وهي تتصل هاتفياً بوالدتها لتخبرها بأنها ستتأخر في العمل هذا المساء، لم تكد تلاحظ خروج الآخرين بعد انتهاء الدوام، لشدة استغراقها في العمل الذي امامها، ولكن يدها كانت تهتز وهي تكتب ملاحظاتها ثم تبدأ التحديق في الفراغ مفكرة في دانيال وما قاله لها.

عند السابعة والنصف، اخذت تحرك اصابعها المتوترة قبل ان تنهض لتصنع لنفسها فنجان قهوة، ثم تراجع ما كتبت خلال نصف ساعة.

جلست إلى مكتبها ثم قطبت جبينها وهي تراجع ما كانت كتبت من ملاحظات، كانت قضية معقدة وتتطلب كثيراً من البحث، ولم يكن هناك ما عليها ان تفعله هذا المساء اكثر مما فعلت، فأراحت ظهرها إلى الخلف واخذت ترشف قهوتها، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة.

اغمضت عينيها وهي تتذكر كيف انها اصبحت مؤخراً، تجلس بهذا الشكل مرات كثيرة بينما دانيال يقف خلفها.

«شارلوت انك تأخرت في العمل.»

فتحت عينيها ودانيال يدخل الغرفة، ثم يلقي بحقيبته إلى الأرض ويخلع معطفه ليلقي به على كرسي.

أخذ يقول وهو يرخي رباط عنقه: «ان قضية ابسوم قد تأجلت، فالقضية التي قبلها بدا انها معقدة أكثر مما كان متوقعاً، لقد بقيت طوال بعد الظهر متسكعاً حول المحكمة... ما الذي تشتغلين به؟» وتقدم نحوها يقف خلفها كعادته.

عبس وهو يرى الاسم على الملف: «لا شك ان ثمة اهمالاً كبيراً صدر عن مدير العمل، ولكنني لا أرى كيف يمكننا ان نبرهن على ذلك، فالرجل يعمل بمفرده، كما انه لا يوجد شهود، ومدير العمل يدعي بأن من عادته دوماً انه لا يستعمل الحاجز الواقي للمكينات، وبذلك يكون هو في الواقع مسؤولاً عما لحقه من ضرر.»

فقالت موافقة: «اعلم هذا، ان موكلنا يدعي ان العادة هناك عدم استعمال الحاجز الواقي للمكينات.»

«نعم، ولكن ليس بإمكاننا اثبات ذلك.»

«انه يذكر في ادعائه ان هذه العادة مستعملة منذ وقت طويل جداً وان الرجل الذي كان استلم منه العمل قد نبهه إلى ذلك.»

قال لاوياً شفتيه: «نعم، ولكنه مات منذ ذلك الحين فلم يعد بإمكاننا اتخاذه شاهداً.»

«هذا صحيح، ولكن اذا كان قد تعرض لأي اصابات اثناء العمل فلا بد انها مدونة في سجله الصحي... فلو كان موته قد حدث منذ وقت قريب نوعاً ما، فلا بد ان سجله ما زال موجوداً.»

قال دانيال: «هذا يستوجب احتمالات كثيرة، ولكن الحق معك، فالأمر يستحق البحث والتحقيق.»

فقالت بانفعال: «هذا ما اظنه، لأننا اذا استطعنا..» وسكتت فجأة.

ذلك ان دانيال كان ينظر اليها بطريقة جعلتها تنسى كل شيء عن العمل.

إتسعت عيناها وعيناه تلتهمان تقاطيع وجهها، ثم تستقران في عينيها، شعرت بخفقات قلبها تتسارع، ما افزعها وجعلها تشعر بالدوار.

قال بهدوء: «لقد كنت افكر بك طوال العصر... و...» وقطع كلامه صوت ارتداد سيارة في الشارع إلى الخلف، فأجفل الاثنان.

ثم قال لها هامساً: «لشد ما أرغب في دعوتك الليلة إلى تناول العشاء، ولكن لدي اجتماع هذا المساء لا يمكنني الفكاك منه، تعشي معي مساء الغد، يا شارلوت.»

فأومأت دون كلام، دون ان تجرؤ على النظر اليه، ذلك ان مشاعرها نحوه اشاعت الاضطراب في نفسها، لم يسبق ان تملكتها مثل هذه المشاعر من قبل.

وفي طريقها إلى البيت، حاولت ان تحلل ما حدث، ولكن ذلك كان مستحيلاً، مساء الغد ستتعشى معه... وارتجفت وهي تتذكر نظراته اليها، وصوته الهامس الجياش بالمشاعر.

* * *

قالت شارلوت لوالدتها بلهجة حاولت ان تجعلها عادية قدر امكانها، بينما كانتا تتناولان الافطار: «لن اتعشى هنا هذه الليلة، انني سأتعشى مع... مع دانيال.»

حاولت جهدها ان تنطق باسمه بعدم اهتمام، وكأن تناول العشاء معه هو شيء غير مهم على الاطلاق، ولكنها أدركت ان والدتها لم تنخدع، فقد تهدج صوتها قليلاً، ما فضح مشاعرها، كما ادركت ان تحت زينة وجهها كانت وجنتاها تتوهجان كتلميذة مدرسة ارتكبت ذنباً.

ولكن لباقة والدتها جعلتها لا تعلق على الأمر بغير سؤالها عما اذا كانت ستأتي إلى البيت لتغيير ملابسها أولاً، ام انهما سيذهبان من المكتب مباشرة...

قالت شارلوت انها غير واثقة، كانت ترجو لو تأتي إلى هنا أولاً فتغتسل وتغير ملابس المكتب... وربما ترتدي الثوب الأسود الذي كانت خرجت به مع سارا لتناول العشاء... كذلك من الأفضل لو تمكنت من غسل شعرها كذلك، وقد تضع في ماء الاغتسال عطر الحمام الغالي الثمن الذي كانت سارا وزوجها قدماه هدية لها يوم العيد.

ارتجفت قليلاً، وهي تفكر في الطريق الخطر الذي تقودها افكارها إليه.

عندما كانت في الجامعة، ظنت نفسها مرة انها مغرمة بأحد زملائها، ولكن مشاعرها نحوه لم تكن بمثل حدتها نحو دانيال.

تملكها الأرق الليلة الماضية وهي تفكر في دانيال، وكان هذا شيئاً جديداً عليها رغم انها كانت مخطوبة، ولكن بيفان لم يجعل قط خفقات قلبها تتسارع لنظراته، كما هو الحال مع دانيال، لا بد ان دانيال لديه نحوها بعض المشاعر هو الآخر، وإلا لما دعاها إلى الخروج معه.

عندما ذهبت إلى العمل، كان قلبها يغني، ومع انها كانت

تحلم ان دانيال سيمضي في المحكمة معظم النهار، إلا ان البهجة ما زالت تغمر قلبها وهي ترتقي السلم إلى المبنى.

ستسهر معه هذه الليلة، هذه الليلة... ولكن هذا سيكون بعد ساعات طويلة... وعندما دخلت مكتبها، نظرت بأسف إلى الباب الموصل بين المكتبين، ثم وبدافع لم تستطع مقاومته، نفذت منه إلى مكتب دانيال.

كان مكتبه خالياً منظماً، لمسته، واخذت تمر بيدها على محتوياته وظهر كرسيه.

أغمضت عينيها وهي تتنفس بعمق، واثقة من ان تحت رائحة الجلد ودهان الخشب، يمكنها ان تشم رائحة خفيفة لصابون دانيال، ولكنها عندما فتحت عينيها واخذت تعنف نفسها لهذه التخيلات المبالغ فيها، اذا بباب المكتب يفتح فجأة، فاستدارت بسرعة واللهفة في عينيها، ولكن الواقع هناك لم يكن دانيال، بل باتريشيا وينترز.

سألتها بلهجة قاطعة: «آه، اين دانيال؟»

شعرت شارلوت بوجهها يحمر ضيقاً من سوء سلوكها، ولكنها نكرت نفسها بأن هذه المرأة هي زبونة فقالت بالطف لهجة ممكنة: «انه في المحكمة اليوم، هل يمكنني مساعدتك؟»

أجابت المرأة بازدراء: «لا اظن ذلك.» ثم اندفعت خارجة من المكتب بنفس الطريقة المتغطرسة التي دخلته بها، تاركة خلفها رائحة العطر المسمى سم الثقيلة.

يا له من عطر ملائم لذوقها... تمتمت شارلوت بذلك بلهجة لاذعة وهي تفتح النافذة لتتخلص من الرائحة، أترى بينها وبين دانيال علاقة، ام انها كما تقول جيني وآن، تلاحقه فقط؟

عندما عادت إلى مكتبها، اخذت تمضغ شفتها بذهن غائب، كل ما عرفته عن دانيال، منذ عملها معه أنبأها بانه ليس من ذلك النوع من الرجال الذي يقوم بأي عمل دون ان يكون مخلصاً فيه للغاية.

انه بعيد عن ان يكون كما تصورته في البداية، ذلك الشخص النهم إلى الدعاية الصحفية، ذلك انه من الاستقامة، بحيث ارغمتها هي على الاعتراف بذلك.

لقد كانت رأت تلك الاستقامة فيه حتى عندما كانت ماتزال مليئة بالاستياء المر منه... وجدت نفسها مرغمة على الاعتراف بها حتى عندما اخذت تشكو متألمة من حكمه على فشلها في مهنتها.

ولكنها الآن تغلبت على ذلك الاستياء لانه ابتدأ يظهر انه لا بد غيّر رأيه فيها، لقد ابتدأ يثق بها، مهنياً، حتى انه اخبرها بأنه يعتبرها بمثابة زميلة له، كما ان عينيه اخبرتاها بأنه يريدها بصفتها امرأة. وتنفست بعمق.

ومن النافذة رأت باتريشيا تعبر الشارع، وعندما وصلت إلى الرصيف الآخر كان رجل مار وقف يتحدث اليها، كان طويل القامة أشيب الشعر، وكان واضحاً من التعبير الذي بدا على وجه باتريشيا انه قال لها ما اثار زهوها، ثم سارا معاً، والرجل يستمع بانتباه إلى ما كانت تقوله له.

عادت شارلوت بانتباهها إلى مكتبها، كان آخر ما تفكر بالقيام به هو العمل، ولكنها ما لبثت ان خاطبت نفسها قائلة، انك بحاجة يا فتاتي، إلى تأديب فأنت لست هنا لكي تمضي الوقت تحلمين بدانيال.

ولكن هذا كان بالضبط ما كانت تقوم به، فقد أدركت ذلك،

شاعرة بالذنب، بعد ساعة عندما ابتعدت افكارها عن عملها للمرة الثالثة لكي تفكر حالمة في نظرات دانيال اليها مساء أمس...

اجفلت شاعرة بالذنب عندما رن جرس الهاتف، فرفعت السماعة.

«شارلوت...» فأجفلت مجدداً وهي تسمع صوت دانيال: «اسمعي ليس لدي ما يكفي من الوقت، أريد فقط ان اتأكد من ان موعدنا ما يزال قائماً لهذا المساء، يبدو انني لن استطيع العودة إلى المكتب ولهذا ما رأيك في ان أمر عليك في البيت، وذلك حوالي السابعة والنصف، لقد حجزت مائدة في مطعم جديد افتتح حديثاً.»

«نعم، السابعة والنصف وقت مناسب تماماً.»

«حسناً إلى اللقاء.» ثم وضع السماعة، لحسن الحظ كان العمل بقية النهار من الكثرة بحيث لم تجد وقتاً تحلم فيه بدانيال، ولكن عند الساعة الخامسة تماماً، حين كانت على وشك مغادرة المكتب، دخل ريتشارد إلى مكتبها يسألها ان كانت استقرت الآن وعما اذا كانت سعيدة. اخبرته بانها كذلك، شاعرة بالارتياح عندما قال انه لا يستطيع الجلوس للتحدث اليها لأن زوجته قد اقامت حفلة لبعض الاصدقاء.

ولكنها وهي في سيارتها متجهة إلى البيت، ادركت ان جوابها لريتشارد، لو كان القى عليها هذا السؤال في الأسبوع الأول من عملها معهم، جوابها كان سيبدو مختلفاً تماماً.

ربما سارا كانت على حق... ربما كان هي مستغرقة بالأسى على نفسها، ما جعلها تخطىء في فهم المدلولات...

ربما كان من الطبيعي تماماً ان دانيال في البداية، كان المفروض ان يلاحظ عملها ولو لحماية زبائنه.

ربما كانت ذات حساسية زائدة عن اللزوم بشعورها انه يدينها، مقارناً نجاحه بفشلها.

لكنها ما زالت تشعر بشيء من الضيق لذلك الاختلاف بينهما، ربما لم تعد تكرهه، ولكنها اذا شاءت ان تكون صادقة، فما زالت تحسده قليلاً، لم تكن تغار من نجاحه بقدر ما كانت تغار من قدرته على النجاح، المهارة التي جعلت نجاحه ممكناً، تلك المهارة التي لم تكن هي تملكها. ولكنها ما لبثت ان اخذت تعنف نفسها لمحاولتها، افساد الأمور بذكريات الماضي.

ثم اخذت تكرر هذا لنفسها وهي تستعد لموعدهما الليلة، اغتسلت وتعطرت بذلك العطر الغالي الثمن، وارتدت ملابس داخلية حريرية لم تكن استعملتها بعد، ثم ارتدت ثوبها الأسود والذي كانت تشعر فيه بارتياح وثقة بالنفس كانت تعلم ان ملابسها الأخرى لن توفر لها ذلك.

كانت في الطابق الأعلى عندما سمعت سيارته تقف امام الباب، نظرت في المرآة بسرعة تطمئن إلى مظهرها، اتراه سيعلم، كما تعلم، ان التوتر هو الذي صبغ وجنتيها بهذا الاحمرار؟ ونظرت إلى شفتيها... اتراها اسرفت في وضع اللون الأحمر عليهما؟

سمعته يقرع جرس الباب، ووالدتها تذهب لتجيب فأدركت ان الوقت قد حان لكي تنزل.

كان عليها طبعاً ان تقدمه إلى والديها واللذين لاحظت انه اعجبهما، هما الاثنين، على الفور.

كان يقود سيارته الجاغوار، وعندما فتح الباب لها، شعرت بالسعادة التي كانت تغلي في اعماقها طوال النهار، شعرت بها تفيض من ابتسامتها المشرقة.

قال لها وهو يتحرك بالسيارة: «انني لم اتناول الطعام في هذا المطعم الجديد من قبل، ولكنني سمعت الكثير عنه.»

فسألته: «كم يبعد عن هنا؟»

أخبرها عن المسافة وهو يشرح لها انه كان اصلاً منزلاً ريفياً بقرب النهر، وهو الآن قد جدد وحول إلى مطعم.

«وعندما بيع المكان قمنا نحن بنقل الملكية، وكان هناك بعض التعقيدات بالنسبة إلى تغيير نوع الاستعمال، وعلى كل حال فقد حصلوا على ما يريدون في النهاية.»

لكي يصلا إلى المطعم كان عليهما ان يسلكا الطريق الرئيسي ومنه إلى طريق ضيق مرصوف بالحصى.

كان الفناء مغموراً بالأضواء، وكذلك مقدمة المبنى، وكان هذا قديماً جداً، منخفضاً مستطيل الشكل، ذا نوافذ صغيرة، واستطاعت شارلوت ان تميز معالم الأفينة والممرات المؤدية إلى جوانب المبنى الذي كما اخبرها دانيال، يؤدي إلى النهر، كما كانت هناك شرفة حجرية خلف المبنى كانت تستعمل لحفلات الغداء في الصيف.

حين وصلا إلى المبنى، اعترفت لنفسها بأن كل ما كانت تريده، في الحقيقة هذا المساء هو فقط ان تكون مع دانيال، ولو انه استدار اليها الآن وقال: «دعينا ننسى أمر الطعام.» لما اعترضت أبداً، بل على العكس.

عندما فتح دانيال الباب اخترقت همهمة الأصوات في الداخل، روعة السكون في الخارج.

وسرها ان ترى ان تجديد المنزل والديكور قد بقي في غاية البساطة.

رأت ان هناك من تكلف كثيراً من العناء لكي يوجد الجو الأصيل للمكان، مزيجاً برفاهية عصرية معقولة.

كان واضحاً ان في المبنى تدفئة مركزية، ولكن أجهزة التدفئة كانت مستورة عن الأنظار.

كما كانت الأرض الحجرية مغطاة بسجادات سميكة.

سألها عندما اصبحا في الداخل: «ما رأيك؟»

فقالت باسمة: «لقد احببته.» ولكن ابتسامتها بهتت للطريقة التي كان ينظر فيها اليها.

لم تتذكر شارلوت فيما بعد، ما كانا طلباه من طعام، فهي لم تكن منحت قائمة الطعام الحافلة ما كانت تستحقه من اهتمام، وعندما جلست هي ودانيال إلى المائدة، لم يكن الطعام يأخذ شيئاً من اهتمامها.

كان حديثهما سطحياً عادياً، وبالنسبة اليها كان مجرد ستر لما كانت تشعر به، وهي تتأمل دانيال وهو يتحدث اليها، كيف حدث انها لم تدرك قط، من قبل ان مجرد اشياء بسيطة في انسان آخر، يمكن ان يكون لها مثل هذا التأثير على احاسيس انسان آخر؟

فقط طريقة تحريك دانيال ليديه مثلاً... طريقة ابتسامته الطريقة التي كانت عيناه تلتقيان بها بعينيها، طريقة جلوسه... كل شيء فيه كان يؤثر فيها بشكل بلغ من القوة انه كان بامكانها ان تجلس ساعات لا تمل من النظر اليه.

عندما أخذت تستمع اليه ادركت مبلغ التأثير الذي تركته

عمته في حياته، حتى انها كانت تحسدها على الحب الذي يبدو انه كان يكنه لها.

وعندما اخذ يصف لها كيف أنشأت عمته مكتب محاماة خاصاً بها بعد ان رفضت الاشتراك مع أي من مكاتب المحاماة المحلية، قالت له: «لا بد ان من الرائع ان يكون للشخص مثل هذه الثقة بالنفس.»

«آه، لا اظن ان هذا كان يتعلق بالثقة بالنفس، بقدر ما كان راجعاً للضرورة القصوى، فقد كانت تدرك انها اذا لم تجد طريقة لمزاولة المحاماة، والاستقبال عن والديها فستعود برغمها إلى طراز الحياة التي كانا يريدانها لها.»

«لا يستطيع احد في هذه الأيام ان يصدق ان امرأة، امرأة بالغة ناضجة، يمكن ان تحد اهتماماتها بهذا الشكل.»

فقال: «نعم، اننا ننسى احياناً كم تغيرت الأمور بالنسبة إلى هذا القرن، وكم من الأمور المسلم بها في نظرنا الآن، لم يكونوا يستطيعون تصورها في زمن الحرب العالمية الأولى... أرجو ان تكون معدتك مازالت تتسع لبعض الحلوى، ان الحلوى هنا مشهورة.»

فابتسمت له شارلوت، كل ما كانت تريده الآن هو ان تكون وحدها معه، وأغمضت عينيها محاولة ان تسيطر على مشاعرها، وهي تتصور نفسها وإياه على شاطىء البحر، يغمرهما ضوء القمر.

لكنها فتحت عينيها على الفور وقد التهب وجهها لتصوراتها هذه: «لا اظنني اريد حلوى... فقط... قهوة.»

وعندما نظرت اليه تساءلت عما اذا كان يتكهن بما يدور في خلدها، وعما إذا كان يشعر نحوها بمثل ما تشعر هي

به نحوه، ستعرف مثل هذه المشاعر يوماً ما، ذلك ان بيفان والذي كانت سعيدة بالتفكير في انهما سيتزوجان في النهاية، بيفان ذلك لم يحدث ان جعلها قط تعرف مشاعر مثل هذه.

ارتشفت قهوتها وهي تنظر إلى دانيال يضع الزبدة على البسكويت، كانت اصابعه طويلة رشيقة وحركاته متزنة حاذقة، وعندما وضعت فنجانها من يدها المرتجفة، تحرك في صحنه محدثاً قرقعة خفيفة.

رفع دانيال بصره اليها، ثم أزاح صحنه جانباً دون أن يمس البسكويت وهو يقول لها بصوت مفعم بالمشاعر: «اظن ان الوقت قد حان لكي نذهب.»

رغم ان شارلوت كانت تنتظر هذه اللحظة طوال المساء، إلا ان التوتر تملكها ولم تستطع ان تتكلم بينما نهض دانيال واقفاً.

الفصل السابع

سارت بهما السيارة عشر دقائق قبل ان تدرك شارلوت انه يأخذها إلى بيتها مباشرة.

اختلط في نفسها الاضطراب وخيبة الأمل، اتراها قد أخطأت تماماً معرفة الوضع؟ هل تملكه السأم منها بهذه السرعة؟ وهل كانت هذه الأمسية مجرد ملء فراغ بالنسبة إليه؟

أبطأت السيارة فالتفتت تنظر اليه قبل ان تدرك انهما وصلا إلى تقاطع الطرق، وكان هو ينظر اليها قائلاً: «اظنك تعلمين كم أرغب في إطالة هذه السهرة معك، وكم أرغب.. في الجلوس اليك...»

حبست شارلوت انفاسها وقد منعتها كرامتها من ان تسأله لماذا إذن يريد ان يأخذها الآن إلى البيت.

وكان هو يتابع قائلاً: «لا تقلقي، فلن أفسد الأمور بيننا، وذلك باستعجالك اقامة علاقة معي قبل ان يعرف الواحد منا الآخر جيداً، رغم انني متلهف إلى ذلك.»

يستعجلها؟ وتساءلت عما سيقوله لو انها تخبره بمقدار لهفتها إليه، ولكنها تعلم ان ليس بامكانها ذلك، ليس لديها هذا النوع من الشجاعة، أو من الثقة بالنفس.

سادت بينهما فترة صمت عاد بعدها يقول وهو يتأوه: «لو ان ليس لديّ الكثير من العمل، حالياً. هذه شكوى كل انسان، هذه الأيام، أليس كذلك؟ فقط ليس هناك ما يكفي من الوقت.»

فسألته: «أهي قضية المحكمة؟»

هز رأسه: «كلا.» ثم سكت وقد تاهت عيناه بعيداً عنها وقد توتر جسمه قليلاً، ثم عاد يقول مرة أخرى برزانة: «كلا، هنالك شيء... مشكلة أنا غير واثق من ان بإمكاني حلها، انه عن أمر معين كنت وعدت به صديقاً قديماً، وعد لا يمكنني تجاهله، ولكن في نفس الوقت...»

«هل أنت؟ هل ثمة فائدة من ان تحدثني عنه؟» ولكنه سرعان ما بدا عليه غياب الذهن تماماً، ما جعلها تشعر وكأنها أقحمت نفسها في أرض ممنوعة، وعندما نظرت إليه كان ينظر امامه مباشرة وقد توترت شفتاه، وبدا لشارلوت وكأنه انفصل عنها، وجدانياً، تماماً، مستبعداً إياها وكأنه لا يريد ان يأتمنها على سره هذا.

سمعته وقد تملكها الألم، يعتذر إليها بقوله: «آسف، يا شارلوت.» ثم اطلق شتيمة خافتة وهو يقول غاضباً: «ليس هذا ما قصدته على الاطلاق، لا شيء هناك، لا شيء أريده الآن... في هذه اللحظة أكثر من أن أبقى معك على صخور الشاطىء تلك، نستمتع بضوء القمر.»

كانت شارلوت تحاول جهدها كبح الشعور بالنبذ والتعاسة والمثير للغثيان الذي تملكها.

كيف حدث هذا؟ كيف انهارت كل هذه المشاعر بينهما بهذه السرعة والسهولة؟ وكيف؟ ببضعة كلمات... جملة أو نحوها، شعرت بدموع المرارة تكاد تتدفق من عينيها، فأخذت تغالبها وهي تعنف نفسها لضعفها هذا.

لا بأس، ان لديه إذن مشكلة لا يستطيع الحديث معها عنها، وهذا لا يعني أنه...

أنه ماذا؟ انه لا يريدها؟ آه، كلا، فهي تعلم ذلك، تعلم انه

يريدها وجدانياً على الاقل، ولكنها هي تريد منه أكثر من ذلك، انها تحبه بشكل مطلق، روحاً وجسداً، وتريد منه ان يحبها بنفس الصفة هذه، كما انها تريده أن يثق بها أيضاً، ان يمحو جراح الشهور الماضية من نفسها، ان يشفيها ببلسم من احترامه المهني لها والثقة بها.

«الأفضل ان أوصلك إلى البيت، ان لديّ اجتماعاً في التاسعة من صباح الغد.» وكان صوته مرهقاً وهو يقول ذلك.

فسألته بلهجة اصبحت فجأة، حادة لاذعة: «لكي تتحدث عن هذا العمل السري الذي لا يمكنك التحدث به معي؟»

أحست به ينظر اليها، ولكنها رفضت ان تنظر اليه: «كلا، انه ليس عن ذلك.» وكان صوته كئيباً ثقيلاً، وشعرت بدافع يدفعها إلى الالتفات اليه، معتبرة ان الخمس دقائق الأخيرة لم تمر قط، ولكنه كان سبق وأدار المحرك وهكذا تبدد، بالنسبة اليها، كل ما حفل به هذا المساء من سعادة وبهجة.

عندما أوقف السيارة امام منزل والديها، تردد لحظة قبل ان يقول: «آسف اذا كنت أفسدت الأمور ولكن...»

قالت له بمرارة وهي تمد يدها لتفتح الباب: «لا بأس، فأنا أدرك ان بعض الأشياء يجب ان تبقى سراً بين المحامي والزبون.»

كانت تعلم ان عليها ان تذهب بسرعة قبل ان ترتكب حماقة فتخبره كم يؤلمها انه مازال لا يثق بها، واضافت تقول دون ان تنظر إليه: «وبعد بالنسبة إلى سجلي السابق بالفشل، انا محظوظة، إذ أجد وظيفة، أليس كذلك؟ لا بأس...»

شهقت وقد تملكتها صدمة وهي تراه يقبض على معصمها بعنف بالغ جعل قلبها يخفق بسرعة بالغة، وهو

يتمتم قائلاً: «ليس الأمر كما تظنين، ليس كما تظنين على الاطلاق.» ثم اضاف بصوت طبيعي وهو يحدق اليها: «لشد ما انا بحاجة إليك.»

* * *

لقد جعلت نفسها تستاء دون سبب، بهذا اخذت تحدث نفسها وهي مستلقية في فراشها تلك الليلة، تستعرض احداث المساء، لقد اصبحت مرة أخرى فائقة الحساسية، باحثة عن المشاكل حيث لا توجد مشاكل، وبعد، ألم يخبرها دانيال كم هي غالية عنده؟ الم يحدثها هذه الليلة عن مبلغ رغبته فيها؟

نعم، انه لم يتكلم عن الحب بكلمة واحدة، ولكنها كانت تتوقع ذلك، ثم انها هي أيضاً لم تذكر ذلك، منهما الاثنان من النضج بحيث لا يستعملان هذه الكلمة بسهولة وشكل رخيص، كلا ان ما تريده منه الآن قبل ان يحدثها عن الحب، ان يخبرها بأنه كان مخطئاً في حقها، ان تسمعه يقول ان ليس لها ان تشعر بالذنب لفشلها، وان هذا يؤثر بأي شكل على قدراتها.

لوت فمها قليلاً، لا شك ان عمته، لو كانت موجودة، لاحتقرتها لهذا الضعف.

* * *

عند الصباح، حدثت شارلوت نفسها بحزم ان عليها ان تضع الماضي خلفها، ثم اتجهت نحو عملها متمسكة بحزم بما كان دانيال قاله لها عن مبلغ تقديره لها، بدلاً من ان تسمح لنفسها بالعودة إلى تلك الشكوك التي عانت منها

الليلة الماضية وحيث انها كانت تعلم ان دانيال لديه موعد عند الصباح، لم تستغرب غيابه.

عندما اسرعت آن اليها ببريد الصباح، قالت لها باختصار: «بالمناسبة دانيال سيتأخر هذا الصباح.»

فأجابت شارلوت بلهجة آلية: «نعم، اعرف هذا.» وإذ رأت آن تنظر إليها بدهشة، عادت تقول بسرعة: «انه... لقد اتصل دانيال بي هاتفياً إلى البيت الليلة الماضية ليخبرني ان لديه اجتماعاً هذا الصباح.»

«آه، لقد تساءلت كيف علمت، لأن كاتب المحكمة العليا اتصل بي أمس لينبهني إلى ان الاجتماع قد قدم موعده لأن على السيد اوليفر ان يذهب إلى المحكمة.

لم يكن هناك سبب حقيقي يمنع آن من ان تعلم انها تناولت العشاء مع دانيال الليلة الماضية، كان هذا ما اخذت شارلوت تحدث به نفسها فيما بعد، ولكن هذه العلاقة الجديدة معه ومشاعرها نحوه، كل ذلك كان شيئاً جديداً تريد ان تحتفظ به لنفسها، وان تجعله بمثابة سرها تكتشفه وتستمتع به على انفراد.

ذلك انها ما زالت هي نفسها غير واثقة بحدوثه... ربما انها لم تصدق بعد...

تصدق ماذا؟ ان دانيال يرغب بها؟ سألت نفسها ذلك، رافضة بحزم، العودة إلى التشكك، مذكرة نفسها بأنها هذا الصباح فقط صممت على أن يكون تفكيرها إيجابياً، وانها ستبدأ بالنظر اماماً إلى المستقبل بدلاً من التعامل مع الماضي.

اشتغلت شارلوت بجد طوال الصباح، مهنئة نفسها لتذكرها كل دقائق وخفايا واحدة من قضاياهم.

كانت قد هبطت لتوها من الطابق الأعلى من مكتبة المراجع حيث كانت تراجع ذلك الملف، عندما دخلت آن المكتب وقد بدا الغضب على ملامحها.

فسألتها شارلوت: «ماذا جرى؟»

«انها تلك المرأة.»

«أية امرأة؟»

فانفجرت آن تقول: «تلك المرأة باتريشيا، كنت ذهبت لاحضر لنفسي فنجان شاي، وعندما عدت وجدتها تطوف حول مكتب دانيال، وكانت جيني حاولت ان تخبرها بأنه غير موجود. صدقيني، انني لا أدري لماذا يتحملها دانيال.»

فقالت شارلوت بهدوء، وان كانت شعرت بانقباض في قلبها: «حسناً انها زبونة.»

«تريدين ان تقولي انها كانت زبونة، لقد انتهى تسليم املاك زوجها اليها منذ اسابيع، ولكنها مازالت تأتي إلى هنا، طالبة رؤية دانيال، ثم انها لا تحاول مطلقاً اعطاء موعد صحيح، اننا كلنا طبعاً نعرف ماذا تريد، ولكن الذي يحيرني هو السبب الذي يحمل دانيال على مجاراتها في ذلك، أعني انني اعلم انها غنية ولكنني ظننت ان دانيال أحسن ذوقاً، انني اعلم اننا جميعاً نمزح للطريقة التي تلاحقه بها، ولكن حتى وقت قريب، لم اظن قط ان بينهما أي شيء جاد.»

سألتها شارلوت بهدوء بينما قلبها يخفق بعنف: «والآن، هل اصبحت تظنين ذلك؟»

فهزت آن كتفيها: «حسناً، وماذا يمكن ان نظن سوى ذلك؟ فكما قلت، كانت وصية بول وينترز بسيطة تماماً، كان لوينترز ابن من زوجته الأولى اسمه غوردون، وكانا على

علاقة حميمة ببعضهما البعض إلى ان جاءت هي، كان هو يدير الأعمال عندما تقاعد بول، واظن كل شخص كان يتوقع ان يترك لغوردون أمر إدارة الأعمال تلك، ولكنه بدلاً من ذلك لم يذكره بشيء في وصيته، وكانت هناك إشاعات تقول انه تشاجر مع بول عندما تزوج هذا باتريشيا، يا للرجال... يبدو ان ليس بإمكانهم ان يروا ما تحت انوفهم، أليس كذلك؟ خصوصاً بالنسبة إلى امثال باتريشيا، على كل حال، استطعت ان اتخلص منها، فاخبرتها بأن من غير المحتمل ألا يعود دانيال إلى العمل هذا النهار.»

ثم سألت شارلوت: «آه، كلا، وإنما اتساءل فقط عما جعل دانيال يأخذ هذه القضية؟»

«آه، أية قضية؟»

فقالت شارلوت وهي تجاهد في جعل صوتها هادئاً: «قضية كالفين هذه.»

لقد صدمتها وكدرتها تعليقات آن، من المؤكد ان دانيال ما كان ليتصرف معها بهذه الطريقة إذا كان له علاقة بامرأة أخرى، ولكن اذا كان كلام آن صحيحاً بأن قضية تسليم الاملاك قد انتهت، لماذا مازال يسمح لها بأن تشغل هذا القدر من وقته؟

نظرت آن إلى الملف على مكتبها: «قضية كالفين؟ آه، نعم انها القضية التي يرفع فيها زبوننا قضية على رؤسائه في العمل لأنهم لا يساوونه مع الموظفات بالنسبة إلى إجازات الولادة.»

قالت شارلوت بابتسامة متوترة: «نعم، انها قضية ممتعة، ولكنني لا اظن اننا سنربحها.»

قالت آن توافقها: «هذا صحيح، ولكن دانيال معتاد على قبول قضايا كهذه.»

فقالت شارلوت بجفاء: «لأجل الحصول على مزيد من الدعاية الصحفية ونيوع الاسم.»

ألقت آن عليها نظرة مترددة، ثم هزت رأسها: «ان اهتمامه بتحقيق العدالة اكثر منه بتحصيل المال، انك لن تصدقي عدد القضايا التي يتولاها والتي لا تتصف بالشروط القانونية، والتي يدرك سلفاً انه لن يأخذ عليها أجراً، ولكنه دوماً يقول ان حصول الشخص على حقه العادل، هو اهم لديه من الأجر الضخم، وان كنا طبعاً نفضل القضايا الهامة ذات المردود الدسم.»

فقالت شارلوت: «طبعاً، ان من المفروض تمويل محبة الانسانية.»

ما هذا التقلب في المشاعر الذي يتملكها؟ مرة ترى دانيال رجلاً ملتوياً مراوغاً غير معروف الهدف، ومرة أخرى تجد نفسها مرغمة على تقدير كرمه واهتمامه بموظفيه.. رجالاً ونساءً؟ خصوصاً امرأة محددة... على الأقل اذا كان ما تقوله آن صحيحاً.

عندما خرجت آن ازاحت عملها جانباً ثم سارت إلى النافذة تنظر منها.

حدثت نفسها بأن عليها ان تفكر في الأمور منطقياً. لا بأس، ربما ملاحقة باتريشيا لدانيال تشبع غروره... حتى انه ربما كان يشجعها على ذلك... وبعد فهو قد عرفها قبل ان يعرفها، هي شارلوت، وهذا لا يعني انه إذا كانت له علاقة سابقة بها، فهو ما زال على هذه العلاقة.

لكنه كان خارجاً معها إلى العشاء في تلك الليلة التي

خرجت هي مع شقيقتها سارا معاً، وقد قال عنها حينذاك انها زبونة، وذلك في الوقت الذي كانت فيه علاقته بها كمحام، اذا صدقت آن، قد انتهت.

لكنها نكرت نفسها بأنه ربما يقوم لباتريشيا بعمل ذي صفة مغايرة، فإذا كانت هي شارلوت مهتمة لهذه الدرجة، ليس عليها إلا ان تسأله، ولكنها كانت تعلم انها لا تستطيع ذلك، فثقتها بنفسها لا تؤهلها لأن تسأله عن علاقاته السابقة، فهما لم يعرفا بعضهما البعض بالقدر الكافي، وبالتالي فعلاقتهما ليست مستقرة تماماً، ولكن أي علاقة؟ سألت نفسها ذلك بعنف، ربما كان فقط يسلّي نفسه معها وربما...

كفى غباء... هتفت بذلك تعنف نفسها، فهو ليس من هذا النوع من الرجال.

وعندما جلست كانت تخفف عن نفسها بما تعرفه عنه، ولكن صوتاً من داخلها كان يسألها ساخراً عما إذا كانت حقاً تعرفه جيداً.

لماذا تعذب نفسها بهذه الشكوك؟ اخذت تعنف نفسها بغضب وهي تعود إلى عملها، لماذا لا تقبل الأمور بظواهرها؟ لماذا تسمح لهذا الاحساس بالضيق وعدم الاطمئنان بأن يلائمها؟

عاد دانيال في عصر ذلك النهار، وسمعته شارلوت وهي قائمة من الطابق الأعلى، وهو يملي على آن.

سمعته يشكر آن ثم ينفتح الباب حين خروجها، ففكرت في النهوض والذهاب إلى مكتبه، ان تطمئن نفسها بأنها لم تكن تحلم بما حدث بينهما الليلة الماضية، ولكنها شعرت فجأة بقلة الثقة بالنفس إزاء ذلك. «هل انت مشغولة؟»

اجفلت لصوته الدافىء وهو يدخل إلى مكتبها ثم يتقدم ليقف بجانبها، إنما لم ينحن فوقها كالعادة، فنظرت اليه وقد توتر حلقها فجأة وجف فمها، هذا هو الأمر إذن، فقد جاء ليخبرها بأن خروجهما معاً ليلة أمس كان غلطة وأن.. ولكنه سألها برقة: «هل اخبرتك ليلة أمس عن مبلغ استمتاعي بالوقت الذي أمضيته معك؟»

لم تستطع ان تمنع مظاهر السعادة والارتياح من أن ترتسم على ملامحها، فسألته بصوت أبح، غير قادرة على قول شيء آخر: «هل سارت القضية في المحكمة على ما يرام؟»

«لقد ربحنا.» وسكت لحظة ثم اضاف لاوياً شفتيه: «اظن الحق معك، فالمكتب غير مناسب للتحدث عن الأمور الشخصية.»

وعندما رفعت اليه بصرها كان يبتسم لها، فتملكها خاطر جنوني بأن تخبره بشعورها نحوه، ان تخبره عن مقدار ما تشعر به من اضطراب وجرح في كرامتها، ولكنها بدلاً من ذلك سمعت نفسها تقول بصوت مرتجف: «كنت أقوم ببعض المراجعات في قضية فيلدينغ، واظنني وجدت بعض الأشياء التي قد تساعدنا.»

«أحقاً؟ هذا عظيم، هيا بنا إلى مكتبي واحضري معك الملف، اننا سنلقي عليه نظرة.»

كان مكتبه اكبر كثيراً من مكتبها، وبينما اخذت تنظر حولها، كان هو يجذب كرسياً إلى جانبه، مشيراً اليها بالجلوس.

عندما جلست رأت ملفاً على المكتب امامها، ظنت في البداية انها أوراق تابعة للقضية التي كان يحضرها اليوم في المحكمة، ولكنها ما لبثت ان رأت اسم باتريشيا وينترز مكتوباً عليه.

فقالت راجية ان لا يفضح صوتها مشاعرها: «لقد جاءت السيدة وينترز هذا الصباح تسأل عنك.»

«نعم، لقد اخبرتني آن بذلك.»

كان صوت دانيال قد اصبح فجأة حاداً متوتراً، ولكنها تجاهلت ما يحمل ذلك من تحذير، فتابعت تقول: «يبدو انها تكثر من المجيء إلى هنا، هل هنالك أية مشكلة بالنسبة إلى املاك زوجها الراحل؟»

حبست انفاسها في انتظار جوابه، وقلبها يخفق بعنف، معترفة بنفاقها، ما جعلها تشعر بالاحتقار لنفسها، لماذا تحاول إيقاعه بهذا الشكل؟ ولماذا لا تسأله مباشرة عما تريد ان تعرفه؟

مضت لحظة ظنت فيها انه لن يجيب على سؤالها، فقد سكت طويلاً، أم لعل مخيلتها أوحت اليها بطول مدة هذا السكوت؟ أتراه حقاً ينظر اليها بنفس الحدة التي شعرت بها، وكأن بامكانه ان يرى ما تفكر فيه؟ وكأنه كان يعلم ما تحاول القيام به؟ أتراه يعلم انها تعرف تماماً ان قضية الأملاك قد سبق وانتهت؟

كانت قد ابتدأت تحدث نفسها بأنها كانت حمقاء، وانه في أي لحظة الآن سيأخذ في تحديها لنفاقها هذا، عندما قال بغلظة: «يمكنك ان تقولي ذلك.» ثم عندما اخذت تنقل بصرها غير مصدقة، بين وجهه والملف، مد يده يأخذ الملف من امامها ثم يضعه في أحد ادراج مكتبه ثم يقفله وذلك بحركات بلغت من عنفها ان شعرت وكأنه صفعها.

لم تستطع شارلوت ان تصدق ذلك، فقد حدث كل شيء بسرعة بالغة، بينما الكذب ينطلق من بين شفتيه بسهولة عجيبة، لقد كذب عليها، لماذا لم يقل شيئاً آخر؟ اذا كان عليه ان يخدعها، فلماذا لم يستطع ان يختار شيئاً اكثر اقناعاً؟ لماذا لم يستطع ان يخبرها انه يقوم لأجل باتريشيا وينترز

بمهمة أخرى؟ لماذا اختار كذبة من السهل جداً كشف عدم صحتها؟

عندما جلست وقد اذهلها الألم وعدم التصديق، كانت واعية إلى انه كان يتكلم معها، ولكنها كانت من الإضطراب والذهول بحيث لم تفهم ما كان يقول.

لقد كذب عليها متعمداً هادئاً، ولماذا؟ لماذا؟ لأنه لم يكن يوجد بينه وبين باتريشيا علاقة المحامي بالزبون ولأنه لم يكن يريدها ان تعرف الحقيقة.

كان عليها ان تجاهد لتبدو هادئة طبيعية، رغم الاضطراب الذي كان يعتمل في داخلها.

لكنها عندما نهضت لكي تعود إلى مكتبها ومد هو يده يضعها على ذراعها يمنعها من ذلك، عند ذلك كادت تفقد سيطرتها على نفسها وهي تجاهد كيلا تقفز مبتعدة عنه، تمنعه من وضع يده عليها، قال لها: «ان لدي موعداً للعشاء هذا المساء، ولكنني فكرت في أن هذه العطلة الأسبوعية...»

«كلا.» كانت كلمة الرفض هذه من الحدة والسرعة بحيث جعلته يقطب جبينه وينظر إليها بعينين ضيقتين: «شارلوت، ماذا حدث؟ اذا كنت قد جرحت كرامتك الليلة الماضية، فاستعجلت الأمور...»

شعرت بنفسها ترتجف، كان يبدو بالغ الاخلاص والاهتمام بها، فلو انها بقيت هنا اكثر من ذلك فستصيح به تخبره بعذابها، وبمبلغ ما يسببه لها من ألم، تخبره بأن شعورها نحوه هو من النوع الذي يجعلها تريده لنفسها فقط، وانها لا تريد ان تكون امرأة يجري معها علاقة خفية قصيرة الأمد.

إغرورقت عيناها بدموع الخزي والألم، ان عليها ان

تهرب منه قبل ان تفقد سيطرتها على نفسها تماماً. كان اليأس والتعاسة يتملكانها، ولكنها مع ذلك، استطاعت ان تملك من السيطرة على نفسها ما يكفي لجعلها تقول له بحدة: «كلا، كلا، الأمر ليس بهذا الشكل.»

كانت قد استدارت مبتعدة عنه بسرعة، عندما أمسك بها وهو يقول: «شارلوت، عطلة الأسبوع هذه...»

«لا استطيع... ان... ان لديّ ترتيباً آخر لهذه العطلة.» وكانت كاذبة في هذا.

لم تستطع النظر اليه كيلا يرى التعاسة في عينيها، أنزل يده عن ذراعها وهو يقول بهدوء، وبصوت بارد جاف: «حسناً، لقد فهمت، ربما في وقت آخر، إذن.»

ألقت شارلوت بالملف الذي في يدها على مكتبها، لتسارع إلى استراحة السيدات، شاعرة بالراحة وهي تراها خالية، بقيت هناك إلى ان هدأ ارتجافها، وتلاشى شعورها بالغثيان، ثم بعد ان تأملت شكلها في المرآة، لم تستطع الا ان ترى مبلغ الفرق بينه الآن، وبينه هذا الصباح.

لم يكن كل ذلك ننب دانيال، كما اخذت تحدث نفسها بسأم، ذلك انها بتصرفاتها المندفعة جعلته يظنها راغبة في... انها تريد منه...

ولكن ذلك كان عندما كانت تعتقد... كانت تعتقد بماذا؟ انها المرأة الوحيدة في حياته... وان من الممكن ان تكون بينما مشاعر غير عادية.

كم كانت غبية بالغة الحماقة.

الفصل الثامن

لم تكن ما تفكر فيه صواباً، فهي لا يمكن ان تكون من الجبن، بحيث تقدم استقالتها. حدثت شارلوت نفسها بذلك وقد ملأتها الكآبة، وذلك بعد ان أمضت العطلة الأسبوعية تستعيد ما حدث مرة بعد مرة، وكانت قد تلقت بيان البنك صباح السبت وقد أذهلها ان تكتشف ان مقدار الفائدة الباهظ جعل جهودها لا تكاد تنقص شيئاً من دينها الشخصي للبنك.

لم يكن ثمة طريقة، مالية كانت أم اخلاقية، تمكنها من التخلي عن وظيفتها، وعليها فقط ان تصر على اسنانها وتسكت.

صباح الاثنين عندما ذهبت للعمل كانت شاحبة الوجه فارغة العينين.

لقد جعلتها معاناتها الكبرى متوترة الأعصاب، تفيض مشاعرها بالألم.

ولكن مرة واحدة، بدا وكأن الحظ بجانبها، فقد كان على دانيال ان يذهب إلى لندن حيث كان يعمل بالاشتراك مع محامٍ آخر.

قال لها ريتشارد وهو يدخل عليها المكتب: «انه احد الزبائن الجدد الذين حصلنا عليهم بعد الدعاية التي صاحبت قضية فيتال، هل انت بخير؟ اتراك تتعبين نفسك بالعمل؟»

هزت شارلوت رأسها، وأجابت: «كلا. فقد تناولت الغداء مع مارغريت والتي كانت تشكو من بعض المشاكل مع قسم الحضانة.» «صدقيني احياناً يبدون وكأنهم مازالوا اطفالاً وليس شباناً بالغين.»

«ربما وضعهم في مكان يسمى الحضانة له دور في ذلك.»

«حسناً، قد تكونين على حق، أو ربما لأنني كبرت في السن، متى سيعود دانيال بالمناسبة؟»

أجابت شارلوت بكآبة: «لا أدري.» وما لبثت ان تمنت لو لم تقل ذلك بمثل تلك الحدة، وذلك عندما رأت الطريقة التي قطبت فيها مارغريت حاجبيها.

لم تستطع النوم في تلك الليلة كما انها لم تكد تتناول طعامها، وكأن ذلك لم يكن كافياً، فبدأت تتصرف وكأنها هي عدوة وليس دانيال.

كانت تستيقظ اثناء الليل مراراً وصورته لا تبارح مخيلتها، واللهفة تتملكها لرؤيته رغم ما كانت تذكر به نفسها بالأسباب التي تحملها على تجنب ذلك.

لم يكن الأمر سيئاً تماماً اثناء النهار، فهي بإمكانها على الأقل ان تزاول نوعاً من السيطرة على افكارها وذلك بتذكير نفسها بباتريشيا وينترز، ولكن الليل لا يحتوي على مثل هذه الدفاعات، فأثناء نومها تتغلب احاسيسها على الواقع فتعنبها بدلاً من الأحلام التي كانت مجموعة من الذكريات والتمنيات التي تتضمن الحب والرغبة.

فهل من الغريب ان يبدأ الآخرون بالتعليق على ما كانت تبدو عليه من إرهاق وتعب؟ كانت المشكلة هي انها لم تستطع ان تكف عن حب دانيال مهما حدثت نفسها بوجوب ذلك.

ثم إذا به يعود ذات يوم خلال الأسبوع، قبل يوم من الموعد الذي كانوا يتوقعون قدومه فيه.

كان يبدو بمثل التوتر الذي كانت هي تشعر به، ما شعرت

له بصدمة وهي تنظر اليه، لم يكن هناك أثر لابتسامته المعتادة، كما كانت عيناه باردتين فارغتين.

سأل شارلوت وهو يدخل إلى مكتبها: «هل سيارتك هنا؟» وعندما أومأت مجيبة قال: «هذا حسن فأنا بحاجة اليها واليك انت.»

وقبل ان تنطق بكلمة، كان قد خرج من المكتب متوقعاً منها ان تتبعه.

كانت سيارتها واقفة في الساحة، فوقفت امامها وهي تنظر إلى دانيال متسائلة.

فقال لها بهدوء: «كلا، تسلمي انت القيادة. انه جون بالفور، لقد توفي الليلة الماضية بعد ان بقي مريضاً عدة ايام، وقد اتصل بي مسؤول من الملجأ هذا الصباح وكنت قد اعطيتهم رقم هاتفي عندما علمت بمرضه، انهم يريدونني ان اصفي أموره فأنا محاميه.»

كانت لهجته متعبة حزينة، وعندما فتحت شارلوت باب السيارة، جال في ذهنها انه لم يخسر زبوناً فقط، ولكن شخصاً كان يعتبره صديقاً.

وبصمت اتخذت مقعدها في السيارة.

«لقد عدت بأول قطار استطعت اللحاق به، كان بإمكاني طبعاً ان اذهب إلى بيتي لإحضار سيارتي، ولكنني في الحقيقة لا آمن على نفسي في حالتي هذه من قيادة سيارة.»

فقالت: «أرى ان جون يعني لك الكثير.»

«نعم، فقد كان آخر صلة لي بعمتي ليديا، انهما كانا صديقين حميمين.»

لحسن الحظ تذكرت شارلوت الطريق إلى الدار، كان

احساسها بدانيال جالساً بجانبها مرهفاً للغاية، وكما يبدو كانت أفكاره كلها مع جون بالفور.

فاضت نفسها عطفاً عليه ما بدد غضبها منه، ربما لم يكن يحبها... ربما كان يشعر بالذنب لخداعه لها، ولكن شعوره نحو الرجل الذي توفي لتوه لم يكن فيه شك.

عندما وصلا إلى الدار، قادوهما بصمت إلى غرفة جون بالفور والتي بدت بدون صاحبها، حزينة غير مكتملة، إذا كان هذا هو شعورها نحو هذا الراحل وهي التي لم تره سوى مرة واحدة، فكيف يكون شعور دانيال نحوه إذن؟

اخذت شارلوت تساءل نفسها بذلك وهي تنظر بصمت إلى دانيال الذي كان يجول ببطء في نواحي الغرفة.

كانت مديرة الدار تقول لدانيال: «لم يكن يملك اشياء كثيرة، فقط ما تراه وما يحتويه المكتب، والأثاث بالطبع، اننا نسمح لهم بإحضار قطع قليلة من اشيائهم عند حضورهم للإقامة عندنا، ان هذا يمنحهم الشعور بالاستقرار، ثم هنالك طبعاً الصندوق الذي يتحفظ فيه بأوراقه الرسمية.»

غادرت المديرة الغرفة، وبينما اخذت شارلوت تراقب دانيال وهو يستعرض محتويات الأدراج بعناية يسودها الألم، كانت تتساءل بعجب عن السبب الذي جعله يحضرها معه إلى هنا، سألته وقد اثقل نفسها هذا الصمت الحزين الذي يشحن جو الغرفة: «هل لديه اقرباء كثيرون؟»

«أبناء اعمام بعيدوا القرابة، وهذا كل شيء، ان اشياءه يمكن وضعها في المخزن حالياً، ان لديّ مكاناً كافياً لها في منزلي.» كان قد اخرج مفتاحاً من احد ادراج المكتب، ثم

اخذ ينظر حوله، وما لبث ان سار نحو السرير وسحب من تحته صندوقاً من الخشب.

كان شخص ما قد احضر صينية شاي أثناء انشغاله في تفتيش المكتب، فأخذت شارلوت الآن تسكبه، لقد توقف مؤقتاً عداؤها له والألم الذي سببه لها، بعد ان تغلب عليهما تأثرها لمشاعره تجاه موت جون بالفور.

لم يكن هناك من لا تتحرك مشاعره إزاء حزنه البادي، فقد كان واضحاً في الطريقة التي كان يلمس بها أطر الصور الفضية والأشياء الخاصة القليلة على المنضدة بجانب السرير، وفي الطريقة التي كان يفحص فيها محتويات المكتب. فكرت شارلوت وفي حلقها غصة، في ان هذه الأشياء لو كانت ملكها هي، لما تمنت ان يتصرف بها أحد بعناية ومشاعر اكثر مما تراه الآن.

رأت فجأة دانيال يجمد في مكانه، كان يحمل بيده كومة رسائل بينما الكآبة البالغة تبدو على ملامحه.

فسألته: «ما هذه؟ ماذا جرى؟»

هز رأسه قائلاً: «هذه الرسائل بخط ليديا، هذا غريب، أليس كذلك؟ أعني اختلاف شعورنا إزاء اشتراك شخص نحبه في عمل كهذا، عنه إزاء شخص غريب.

أرى ان المنطق والمهنة يتطلبان صون هذه الرسائل، على الأقل اذا لم تقرأ، ولكن شعوري بأنها رسائل خاصة لفرد واحد فقط، يقول بأنه يجب ان لا يطلع عليها احد آخر على الاطلاق. لقد كان أرادني والدي ان اكون قاضياً، كما تعلمين، ولكن ليديا نصحتني بخلاف ذلك. وقد تشاجرت هي مع والدي لهذا الأمر، كان هو يظنها تريدني، بصفتي الجيل الثالث من

المحامين في الأسرة، ان استلم مكتب المحاماة الذي كانت أنشأته، ولكن هذا لم يكن صحيحاً، فهي لم تكن تعتقد ان طبعي من النوع المحايد إلى حد اصلح معه للقضاء، كانت في تلك الأيام تعرفني أكثر مما كنت اعرف نفسي.»

وعاد ينظر إلى الرسائل، وإذ أحست شارلوت بما كان ينوي عمله، تقدمت نحوه مدفوعة بالغريزة اكثر منها بالمنطق، وهي تقول له بتأثر: «احتفظ بها، فقد تشعر فيما بعد بأنك اكثر قرباً وعاطفة من عمتك من ان تحاول قراءتها. ولكن فكر في حرمان اجيال المستقبل، الذين لم يعرفوها شخصياً، مثل أولاد واحفادك... من قراءتها، هذا إذا أنت اتلفتها الآن.»

توقف ونظر اليها ثم قال بلهجة بدت فيها مرارة مزيجة بشيء من الغضب: «أولادي؟ لا اظن...» وسكت ثم عاد ينظر إلى الرسائل، ثم اذا بها تذهل وهي تراه يناولها إياها قائلاً: «هذا حسن جداً، إذن فقرري انت ما يجب عمله.»

تلقت الرسائل بيديها وهو يلقيها اليها، ثم قالت متلعثمة: «ولكنني لا استطيع... أنا لا... انها ليست...»

فقال: «انك امرأة، ومحامية أيضاً، ما الذي كنت تريدينه لو كنت مكان ليديا؟»

لم ينتظر جوابها، بل أدار وجهه عنها، منشغلاً بأوراق أخرى.

رأت شارلوت انه لا يمكن ان يكون هذا ما يعنيه، لا يمكن انه يثق برأيها في هذا الأمر من دون الناس جميعاً.

كانت تعرف مكانة عمته لديه، وكم كان يحبها، فكيف يطلب منها، وهي التي لا يثق بها مهنياً، والتي من المؤكد انه لا يثق بها كامرأة، كيف يطلب منها ان تكون هي التي تضع مثل هذا

القرار؟ نظرت اليه، ولكنه كان ما يزال مولياً ظهره اليها.

كانت على وشك الاحتجاج.. فقد كانت لديا عمته هو... لكنها عندما نظرت اليه، ورأت كيف كانت الأوراق ترتجف بين يديه فاضت نفسها عطفاً عليه.

دست حزمة الرسائل في حقيبة يدها، ثم اخذت ترتشف الشاي بهدوء، تاركة لدانيال فرصة يتمالك فيها مشاعره.

مضت اكثر من نصف ساعة قبل ان يتكلم مرة أخرى، قائلاً: «ان الدار سترتب أمر تفاصيل الجنازة.»

لم يمس فنجان الشاي، ولكن شارلوت لم تشر إلى ذلك، كما انها امتنعت عن ان تسأله عن السبب الذي جعله يحتاج إلى مساعدتها بينما لم تفعل شيئاً سوى ان تكون معه.

عادا معا بصمت إلى سيارتها، وعندما كانت تفتح بابها، التفت دانيال اليها قائلاً: «شكراً.»

أرادت ان تسأله لماذا يشكرها، ولكن الكلمات التصقت بحلقها، كانت هذه ناحية مختلفة في شخصيته، كانت ناحية ضعف لم تتوقع قط ان تراه يكشف عنها، خصوصاً لها.

قال لها: «أخشى انني سأضطر إلى ان اطلب منك ان توصليني إلى بيتي.»

فأجابت بسرعة وعفوية: «هذه ليست مشكلة، ولكن سيكون عليّ ان اسألك ان تدلني على الطريق، إذ ليس لديّ فكرة عن مكان اقامتك.»

نظرت اليه عندما انتهت من كلامها، فأدهشها التعبير الذي كان يبدو على وجهه.

كان مزيجاً من الألم والمرارة، رغم انه لم يكن لديها فكرة عن السبب الذي جعل طلبها المعقول هذا قد أثار مثل هذه

النظرة، إلا إذا كان طبعاً، ما زال يفكر في ليديا وجون. ولكن كلماته التالية ناقضت هذه الفكرة، إذ قال بفتور: «كلا، انك لا تعرفين بيتي، أليس كذلك؟»

وعندما ادارت المفتاح في الاشعال فتحركت بهما السيارة، تساءلت عما يجعل جهلها بمكان بيته يؤثر على مشاعره بهذا الشكل، كان سهلاً عليها اتباع إرشاداته الواضحة المختصرة، لقد كان يعيش في ناحية المدينة المعاكسة للناحية التي يعيش فيها والداها، ودهشت وهي تجد انه لا يسكن في المنطقة المعتبرة انها الأفضل للسكن، وإنما أبعد كثيراً مما كانت تتوقع. كان ذلك في الواقع، خلف حلقة من القرى الصغيرة التي تحيط بالمدينة من الناحية الريفية.

قال وهما يخترقان قرية صغيرة: «آسف لكوني جررتك إلى هذا المكان البعيد، وأرجو ألا اكون افسدت عليك أية خطة قد تكونين وضعتها لهذا المساء.»

فهزت شارلوت رأسها نافية.

عاد يقول وهو يشير إلى طريق صغير متفرع من الطريق العام: «انه هنا إلى الشمال.»

لم يكن لدى شارلوت فكرة عن البيت الذي كان يسكنه دانيال، ربما أحد المنازل الأنيقة المجددة في نفس المدينة، أو ربما في منزل من الطراز الفيكتوري أو الإدواردي يقوم وسط اراض خاصة به، من ذلك النوع الموصوف عادة بأنه منزل عائلي مريح.

ولكن الذي لم تكن تتوقعه قط كان مخزن الغلال ذاك المجدد والموسع والذي صار بإمكانها ان تراه الآن في آخر الطريق.

قال لها دانيال وكأنه قرأ افكارها: «كانت نزوة تلك التي دفعتني إلى شرائه، لقد رأيته منذ ثلاثة فصول صيف فأعجبت به، فقد كان الناس الذين اشتروه ورسموا خطة تجديده الأساسية كانوا ينتقلون إلى خارج البلاد، لا يمكنك ان تريه من هذه الناحية، ولكن الناحية الأخرى من المنزل معظمها من الزجاج، وهي تواجه الجنوب ومنها ترين منظراً لا يصدق لجماله، لقد جذبني شيء ما في هذا المنزل... ربما كان مقدار ما تغمره أشعة الشمس، ففي فصل الصيف ترين غرابة وجمال امتزاج أشعة الشمس والغابة القديمة.»

كان المخزن من الأمام مبنياً من القرميد الملون، وكانت نوافذه صغيرة، وكان هناك طريق مبلط هو الذي كانت تسلكه، ومن فوق السياج المنخفض، تمكنت من رؤية حديقة جميلة ريفية الطراز يخترقها ممر يؤدي إلى بوابة صغيرة، ومروج خضراء ومساكب أزهار

كانت قد أوقفت السيارة وأخذت تنتظر خروج دانيال منها، ولكنه التفت اليها فجأة وقال بصوت مفعم بالمشاعر: «تناولي العشاء معي يا شارلوت.»

تتناول العشاء معه؟

اخذت تحدّق إليه وقد ساورها الإضطراب لدعوته هذه، واخذ قلبها يخفق، واحاسيسها تتجاوب معه.

كانت ترى التعب والألم، من احداث هذا النهار، مرتسماً في عينيه وعلى جانبي فمه.

لقد فهمت الآن من دون ايضاح منه، السبب الذي يجعله لا يريد ان يبقى وحيداً.

كانت تريد ان تحتج قائلة إن ليس بامكانها ان تمنع عنه

مشاعر لا يمكنه تحملها، ولا هي مخففة أحزان، ولكن المنطق الذي كانت تحاول الاستعانة به قد تخلى عنها. فقد امتدت اصابعها تفك حزام المقعد من حولها، ثم تطفىء المحرك، ثم تترجل من السيارة. ودون وعي منها، اكتشفت انها واقفة خارج سيارتها تقفلها.

«من هذه الناحية.»

كان دانيال يقف بجانبها يشير إلى الطريق المبلط وأيضاً إلى مؤخرة المنزل، كان ضوء النهار قد ابتدأ يتلاشى، ولكنه كان مايزال كافياً ليجعلها تحبس انفاسها ابتهاجاً وهي ترى ما كان يعنيه بالنسبة إلى نوافذ المنزل.

بين الواح خشب السنديان العتيقة والقرميد الريفي الأملس كان المهندس قد صمم ما كان فعلاً جداراً زجاجياً، ما جعل المزج بين القديم والحديث يبدو غاية في الانسجام والجمال.

فتح دانيال الباب ثم دعاها للدخول وهو يشعل النور، فتبعته إلى مطبخ فسيح.

هنا أيضاً كانت الدعامات الخشبية والقرميد قد ترك مكشوفاً.

كانت الأرض مرصوفة بالحجر المربع المدهون والذي صقله مرور الزمن، وكان المفروض انها باردة ولكنها ليست كذلك، كان من السهل ان يتصور المرء أسرة تسكن هذا المنزل، يعيشون بسعادة وهناء ويضحكون، مستمتعين بهذا المنزل الغني بالمتناقضات.

لكن لم يكن من السهل عليها ان تتصور باتريشيا وينترز في منزل كهذا... وأخذت تنظر إلى الجو العائلي الذي يحيط بها.

«حسناً، ما هو رأيك؟»

جفلت لسؤال دانيال الرقيق هذا، جمدت في مكانها وقد توهج وجهها وهي تتساءل كيف علم بما تفكر فيه، ولكنها ما لبثت ان أدركت انه كان يشير إلى المنزل نفسه وليس إلى وجود باتريشيا وينترز فيه.

اجابته قائلة: «انه... انه رائع.»

فأشرق وجهه بابتسامة دافئة: «انتظري إلى ان تري المنظر من الطابق الأعلى، ان الرهبة ستتملكك خصوصاً في الصباح الباكر عند شروق الشمس...»

اخذ كل منهما ينظر إلى الآخر، وكان واضحاً ان كلاً منهما لم يستطع تحويل عينيه جانباً، اكتشفت ان فمها قد أصبح شديد الجفاف، كما ان قلبها قد تسارعت خفقاته، وتملكها مزيج من التوتر والانفعال.

«الآن وقد وافقت على تناول العشاء معي، أرى ان ابحث ما إذا كان لدينا شيء يؤكل.»

اخذت تنظر اليه وهو يتحرك، فاتحاً الثلاجة، وسمعته يقول شيئاً عن اللحم والبيض، ثم يبدأ بنقل الطعام من الثلاجة والخزانة، كل ذلك دون ان تستطيع التحرك من مكانها.

ما الذي حدث لها؟ لقد طالما انفردت به من قبل دون ان يحدث لها مثل هذا التأثير، حسناً، انها تحبه وتريده.

اخذت تتشمم روائح الطماطم واللحم والخضار وكأنها جديدة عليها.

لماذا يحدث معها ذلك؟

اخذ يطهي الطعام دون ان يطلب منها أن تساعده، كان يتصرف بكل اقتصاد وبساطة، وكأنه قد ألف هذا العمل، كانت حركاته خالية من المباهاة والتفاخر الذي كانت

تراه في اصدقاء بيفان وهم يتحدثون عن مواهبهم في المطبخ.

التفت ينظر اليها وكأنه أحس بنظراتها المتمعنة فيه.

عند ذلك قالت له: «هل يمكنني المساعدة؟ المائدة؟»

فهز رأسه نافياً وقال: «سنأكل في غرفة الجلوس لأن ثمة مدفأة، سأذهب وأشعلها بينما تنتبهين إلى الطعام أثناء غيابي.»

حاولت بعد ذهابه، ان تنفض هذا الضعف عنها، لقد كان يريد صحبتها الآن لمواساته وتخفيف احزانه، كما اخذت تذكر نفسها، ولكنها ستكون مجنونة لو تصورت لحظة ان لها مكاناً حقيقياً في حياته.

عندما عاد قال: «الطعام جاهز تقريباً.» شعرت بالجوع وهي تشم رائحة الطعام، ولكن وجوده شغل حواسها إلى حد لم يترك فيها مكاناً لأي شيء آخر.

وعندما اصبح الطعام جاهزاً، وضعه دانيال على عربة مصنوعة من خشب السنديان، وهو يقول لشارلوت: «غرفة الجلوس من هذه الناحية.»

تبعته إلى خارج المطبخ حيث دخلا إلى ردهة يبدو انها تتوسط المنزل، كانت جدرانها بلون القشدة، وامام احد الجدران، قامت خزانة بأدراج من خشب السنديان علق فوقها صورة لامرأة انيرت ملامحها بمصباح كهربائي.

وعندما وقفت شارلوت تنظر اليها، قال لها دانيال: «انها ليديا.»

رأت ملامح الأسرة ممثلة في تقاطيع ليديا الأنثوية، كان واضحاً ان الصورة رسمت عندما كانت امرأة شابة، كان

شعرها يشبه شعر دانيال، كثاً بني اللون، وكذلك شكل الأنف وصلابة الفك.

قالت له: «انكما متشابهان جداً.»

فأجاب: «ثمة تشابه قليل من الملامح، ولكنني مع الأسف، لا املك بعد نظر ليديا ولا عزيمتها، وأنا اشك في انني، لو كنت مكانها، كنت استطيع إنجاز ما انجزته هي، فأنا لا استطيع ان اقوم بمثل تلك التضحية.»

سألته بحيرة: «تضحية؟»

«نعم، فقد تخلت عن كل شيء لكي تثبت وجهة نظرها... لكي تثبت ان بإمكانها ان تصبح محامية ناجحة كأمثالها من رجال عصرها، لقد رفضت الزواج خوفاً من ان يقنعها زوجها بترك عملها. كانت تعتقد ان من المستحيل ان تتمكن من الجمع بين المحاماة والحياة الزوجية والأمومة. وعلى كل حال، في زمنها ذاك، لم يكن احد يعتقد ان بالامكان الجمع بين الأمرين.»

كانت لهجته من الاستياء، بحيث التفتت شارلوت تنظر اليه، ثم سألته متحدية: «وهل تتفق انت معها في هذا الرأي، وهو ان المرأة لا يمكن ان تجمع بين الاثنين؟»

فنظر إليها مجيباً: «لا اظن ان احداً يستطيع ذلك، سواء كان رجلاً ام امرأة، اظن مهما اختار المرء في هذه الحياة، فعليه ان يضحي بشيء ما، لقد احب جون بالفور ليديا، واظنها احبته هي أيضاً.

وعصر هذا اليوم وانا في غرفة بالفور، لم استطع منع نفسي من ان اتساءل عن هذا الأمر، اظن مما يدعو إلى الأسى البالغ ان يحب اثنان بعضهما البعض، ثم يديران ظهريهما إلى هذا الحب لأي سبب كان.»

حدقت إليه شارلوت، لم يكن هذا النوع من الكلمات

والمشاعر ما كانت تتوقعه منه، وطبعاً، لم تستطع ان تتصور بيفان يقول شيئاً كهذا، على الاطلاق.

كان هو قد فتح لها باب الغرفة مشيراً اليها أن تتقدمه.

كانت الغرفة التي دخلت اليها فسيحة مريحة الأثاث، وكان هناك جدار كامل من الزجاج ربما كان يوماً ما مبنياً من الخشب والحصى، أو ربما القرميد، وكانت الأرض الخشبية المصقولة تلتمع في ضوء نيران المدفأة ومن اضواء المصابيح المعلقة في أنحاء الغرفة.

رأت في إحدى الزوايا بيانو للاطفال، وعندما رآها دانيال تنظر اليه قال لها: «كان هذا الليديا، عندما كانت فتاة صغيرة، كانوا في زمنها يعلمون الاطفال العزف على البيانو، وقد أرادت ان تعلمني أنا أيضاً، ولكنني للأسف، لم استطع ان اتجاوز تحريك الأصابع.»

كان على جانبي المدفأة مقعدان متقابلان منجدان بقماش مخطط من اللونين التبني والبني الفاتح وغطت المساحة بينهما سجادة سميكة.

عندما دفع دانيال العربة إلى امام المدفأة، رأت شارلوت ان من الممكن توسيعها بحيث تصبح مائدة مناسبة.

قال: «دعينا نأكل هذا قبل ان يبرد.»

فجلست رغم انها لم تكن جائعة تماماً، ولكنها تناولت صحنها بحركة آلية.

تناولت شارلوت من الطعام نصفه قبل ان تعترف بأنها لن تستطع اكماله.

وتملكتها الدهشة وهي ترى ان دانيال أيضاً كان يأكل من دون شهية.

سألها: «ألست جائعة؟»

فهزت رأسها: «كلا، انا آسفه...

ثم اخذت تنهض واقفة وقد تملكها شعور غريب بالذعر، فقد كان احساسها العميق بالإلفة والمودة لكل ما يحيط بهما، هذا إلى شعورها بالضعف، امتزج بشعور مفاجيء بالرغبة في الهرب.

ربما بسبب هذه المشاعر، أو ربما لنهوضها بسرعة، شعرت وهي تتحرك، برأسها يدور.

«شارلوت...»

لم تدرك انه كان قريباً منها إلى هذا الحد، وقد بان في عينيها الحذر والخوف.

«شارلوت...» وبصوت بالغ الرقة عاد ينطق باسمها. فنظرت اليه دون ان تستطيع منع نفسها من التجاوب مع تلك الرقة في لهجته، جف فمها كما حدث عندما دخلت المطبخ من الخارج، واخذ قلبها يخفق بعنف.

نظرت إلى عينيه... انه يريدها وبنفس القوة التي تريده هي بها.

لقد تجاوبت مشاعرها مع ما تنطق به عيناه من مشاعر، انها تحبه، فهل هو يحبها؟

«شارلوت...» همس باسمها للمرة الثالثة وهو يمسكها من ذراعها يجلسها على الأريكة. «ما هو شعورك نحوي، يا شارلوت؟»

نظرت إليه وشفتاها ترتجفان.

«قولي يا شارلوت... قولي انك تحبينني كما احبك، قوليها يا شارلوت.»

يا لرقته الفائقة وهو يصارحها بحبه، ويسألها ان كانت تحبه... تحبه؟

همست وهي تبلل شفتيها الجافتين بلسانها: «نعم... احبك... احبك يا دانيال.»

ومن مكان بعيد، تناهى إلى مسامع شارلوت صوت، فانتفضت مجفلة، محاولة التشبث بدانيال، ولكنه كان قد تحرك مبتعداً عنها، وهو يتأوه كارهاً إلى حيث رنين الهاتف الملحاح ذاك.

اخذت تنظر اليه وهو يسير مجتازاً الغرفة وقد تملكها الاستياء لهذه المقاطعة، وكان هو يرفع السماعة: «باتريشيا.»

حتى ولو لم تسمع شارلوت الاسم، كان بامكان شارلوت ان تدرك شخصية المتكلمة من ذلك الصوت المتغطرس الحاد الذي نقلته الأسلاك. سمعتها تقول له: «أنا بحاجة إلى رؤيتك يا عزيزي الآن...»

أحست شارلوت بدانيال يلتفت نحوها، وبمرارة زائدة حولت وجهها عنه وهي تشعر بالغثيان، بعد ان انهارت آمالها في ان يكون له، نحوها، نفس المشاعر التي تشعر بها نحوه، مدركة انها بالنسبة إليه ليست سوى أمرأة يتسلى معها إذا لم يجد سواها، لم يكن ثمة فائدة من انكار هذه الحقيقة، محاولة اقناع نفسها بالعكس، اما المرأة الأخرى، المرأة الوحيدة ذات الأهمية في حياته، فهي تلك التي تكلمه من الناحية الأخرى من الخط.

جاهدت للوقوف على قدميها، ومن خلفها كانت تسمع دانيال يتحدث بصوت منخفض ثم سمعت صوت السماعة تعود إلى مكانها.

اجفلت وهي تشعر بيده على كتفها، وهو يقول: «شارلوت... أنا آسف ولكن...»

إلى هذه اللحظة لم تكن تدرك مقدار الأمل الذي كانت عقدته في أن تسمعه يقول ان هذا الهاتف غير مهم، وان وجوده معها فقط هو ما يهمه.

كانت تشعر بمرارة في فمها وثقل في قلبها، هذا إلى احتقار لنفسها، وغالبت دموعاً أوشكت ان تنهمر من عينيها وهي تقول بلهجة متوترة: «لا بأس، انني أدرك ان العمل يأتي أولاً.»

شددت على لفظة العمل، متحرقة لهفة إلى ان يعود فيجلس معها، مهملاً طلب باتريشيا منه موافاتها مهما كان السبب، ولكنه لم يفعل.

«شارلوت، يجب ان اذهب، انها مسألة تتعلق بالعمل، لا استطيع...»

فقالت بتوتر: «لا حاجة بك إلى الشرح.»

مسألة تتعلق بالعمل؟ ايظنها حمقاء إلى هذا الحد؟ ايظنها لم تسمع ذلك الصوت في الهاتف وهو يخاطبه بكلمة يا عزيزي؟ وانها لم تسمع اقاويل المكتب عنه وعنها؟ ثم أليس من المفروض انها ستستاء وهي تراه يتركها ليذهب إلى امرأة أخرى؟

ازداد شعورها بالغثيان، فاختطفت سترتها وحقيبة يدها، وجسمها يرتجف، غير قادرة على إلقاء نظرة أخرى عليه.

وصلت إلى الباب ففتحته قبل ان يستطيع هو ان يفتحه لها، لم تستطع ان تتصوره قريباً منها.. ومشاعرها مليئة بالغثيان منه ومن نفسها لغبائها وضعفها.

وعندما اخذت تفكر في الطريقة التي اخذت بها تبادله

نظرات الهيام، وكلمات الحب، وفي ظنها انه يكن لها ما تكن له من حب، امتلأت اشمئزازاً ويأساً من نفسها.

كانت قد وصلت إلى الباب الخلفي، وكان دانيال يفتحه لها ثم يتبعها إلى السيارة، كان حسن التهذيب إلى النهاية. وكبحت ضحكة هستيرية أوشكت ان تصدر عنها. أتراه يتوقع منها ان تكون حسنة التهذيب مثله؟

ما هو التهذيب المتوقع في موقف كهذا؟ هل هو الإدعاء بأدب بأنها لم تنتبه إلى ذلك الهاتف، وإلى كلمة عزيزي... وان تطمئنه إلى انها متفهمة تماماً؟

عليها ان تهرب، تهرب بعيداً، وتملكتها المرارة وهي تصعد إلى سيارتها لتنطلق بها بعيداً... بعيداً عن كل شيء.

لم تكن في الواقع في حالة ملائمة لقيادة السيارة، ولكنها لم تجرؤ على التوقف إلا بعد ان ابتعدت عن المنطقة، وذلك كيلا يراها دانيال وهو في طريقه إلى باتريشيا وينترز. اتراه سيمضي الأمسية معها؟

وشتمت شارلوت نفسها وهي ترى الدموع الحارة تنهمر من عينيها.

كانت تظن انها قد جربت كل انواع الإذلال واليأس، ولكنها لم تعرف قط مثل هذه المشاعر، لم تعرف معنى ان تحب رجلاً يظهر لها مشاعر رائعة دافئة، هذا إلى رقة زائدة، ومع ذلك لا يحسّ بشيء نحوها على الاطلاق.

ماذا كانت تظن نفسها تفعله؟ لقد كانت تعلم قبل هذه الليلة، حقيقة الوضع، لقد كانت تعلمه، ولكنها تعمدت تجاهل تلك المعرفة.

وهكذا استحقت ما حدث لها، تماما كما كانت استحقت

فشلها في أعمالها، والذنب واللوم في كل ذلك يقع عليها وليس على شخص آخر، كان بإمكانها ان ترفض تناول العشاء مع دانيال، وحاولت ان تتصور كيف ستتمكن من مواجهته عند الصباح عندما تراه قادماً إلى عمله، وهي تعرف أنه ربما قادم من منزل باتريشيا وينترز، ولكن مخيلتها لم تستطع ان تجيبها إلى سؤالها.

كل ما كانت تريده هو ان تزحف إلى حيث تختبيء عن الأنظار في مكان ما، ان تنكر انها قد عرفت يوماً من يدعى دانيال جفرسون، وطبعاً تنكر انها كانت أحبته وأغرمت به. لو انها فقط تستغني عن مذلة مواجهته مرة أخرى.

اخذت تجول في رأسها فكرة ان لا تعود إلى المكتب بعد الآن، ولكنها سرعان ما أدركت انه خيار ليس مفتوحاً امامها.

أولاً، بماذا تفسر الأمر لوالديها؟ واحمر وجهها وهي تتصور نفسها تحاول القيام بذلك، كلا، كل ما عليها هو ان تجد طريقاً للمكابرة بشكل يعيد إليها كرامتها، وذلك بأن تجعل دانيال يعتقد بأن ما حدث بينهما كان عديم الأهمية بالنسبة إليها قدر ما كان بالنسبة إليه.

ولكن كيف؟

الفصل التاسع

عند الصباح جلست شارلوت إلى مكتبها لتبدأ عملها كان إرغام نفسها على العمل هذا الصباح أحد أشق الأعمال التي عرفتها في حياتها، بما في ذلك مواجهة فشلها في العمل وافلاسها.

غريب كيف اصبحت ترى ذلك عديم الأهمية بالنسبة لما تعانيه الآن.

نظرة واحدة إلى وجهها في المرآة قبل ان تدخل إلى مكتبها، أثبتت لها ما سبق لها وعرفته من قبل.. وهو أن ملامحها فضحت كل العلامات المعتادة للتوتر الهائل الذي تعانيه، تماماً كما كان الانتفاخ حول عينيها يدل عن الدموع التي كانت ذرفتها أثناء نومها.

كانت ترجو من كل قلبها لو ان دانيال هذا النهار يشعر نحوها بالعطف والحساسية إلى حد يبقى بعيداً عنها، فهو عطوف جداً بالنسبة للآخرين، فلا بد انه يعرف بشعورها الآن.

لا بد انه كان يشعر من نظراتها اليه الليلة الماضية، وتصرفاتها، بأنها تحبه، ولو انها لم تقل له ذلك حرفياً، فكل تصرفاتها نحوه كانت تشير إلى انها تشعر نحوه بشيء خاص.

ولكن ربما لم يشأ هو ان يلاحظ شيئاً من ذلك، مفترضاً ان مشاعرها نحوه لا بد ان تكون مماثلة لمشاعره نحوها...

مجرد رغبة، أو ربما لم يفكر فيها على الاطلاق بعد ان ذهبت هي واتجه هو في طريقه إلى رؤية باتريشيا وينترز.

سمعت باب مكتبه الخارجي يفتح، فجمدت في مكانها، وحنت رأسها تخفي وجهها بين الأوراق على مكتبها والتي كانت الكلمات فيها تهتز امام عينيها لشدة ما كانت تشعر به من غليان في داخلها.

مرت الثواني ثم الدقائق، ورغم إرهافها لسمعها، إلا انها لم تسمع حركة في مكتب دانيال، وبقي الباب الموصل بين المكتبين موصداً لحسن الحظ.

كان العمل بالنسبة اليها أي نوع من العمل، مستحيلاً، ولكنها حاولت ذلك بكل ما امكنها من عناد، حيث اخذت تقرأ الملاحظات التي كانت دونتها على ملف القضية التي بين يديها، ولكنها كانت تعلم انها لم تكن تركز حقاً على ما كان المفروض ان تقوم به.

في كل مرة كانت تسمع فيها أقل حركة خارج مكتبها، كانت تجفل خوفاً من ظهور دانيال، وفي الساعة العاشرة جاءت آن ببريد الصباح.

قالت حالما وقع بصرها عليها: «آه، ما اشد شحوبك، ارجو ان لا تكوني أصبت بتلك الجرثومة المعوية المنتشرة في المنطقة حالياً.»

فهزت شارلوت رأسها: «لا اظن ذلك.»

قالت آن متابعة ثرثرتها: «لا أدري ما الذي تريد باتريشيا وينترز من وراء رؤية دانيال؟ مهما كان ذلك، فلا بد أن الأمر كان مستعجلاً بالنسبة إليه حتى جعله يذهب اليها وهو في طريقه إلى العمل، إلا اذا كان ذلك حيلة أخرى منها للحصول

على اهتمامه، يمكنني ان أتخيلها وهي تهبط السلم في قميص نوم فضفاض أسود اللون مثير للغاية، مدعية بأنها قد استيقظت من النوم لتوها، ولكن بكامل زينتها وشعرها المصفف على احدث طراز.»

اصبح ارتجاف شارلوت ظاهراً للعيان، وشعرت بالغثيان في معدتها وهي تسمع تعليقات آن بينما عادت هذه تسألها وهي ترى ما يحدث لها: «هل انت واثقة من انك على ما يرام؟»

لم تستطع شارلوت الكلام، استطاعت فقط ان تهز رأسها وهي تغمض عينيها بشدة تمنع بذلك الدموع التي كانت تشعر بها على وشك التدفق، بينما اخذت آن تبدي لها الاهتمام البالغ، قائلة لها بأن لا تتحرك قبل ان تحضر لها كوب ماء.

لم يكن الذنب ذنب آن، إذ لم يكن لديها أي فكرة عن ان ثرثرتها وتعليقاتها هذه كانت السبب في مرضها، ثم ما الذي يجعلها هي تشعر بمثل هذا الإضطراب والهجران؟ فقد كانت علمت مسبقاً بأن دانيال ذهب لزيارة باتريشيا وينترز، وكانت قد سبق وسمعت أقاويل المكتب عن ملاحقة باتريشيا لدانيال.

لا بأس، فقد كان موظفوه يعتقدون بأنه ليس لديه اهتمام شخصي بباتريشيا، وانها هي التي تحاول إنشاء علاقة بينهما، ولكن شارلوت كانت قد تعلمت أن ترى الوقائع... أن تجمعها وتحللها وكل الوقائع التي لديها الآن توضح تماماً ان باتريشيا ودانيال هما حبيبان.

وهكذا تدفقت إلى ذهنها الآن كل الصور التي كانت

تحاربها، وذلك لكي تعذبها... صور دانيال وباتريشيا يجلسان معاً، صور دانيال كما كان معها آخر مرة... صورة له وهو يستيقظ في الصباح في منزل حبيبته، فيمد يده إلى الهاتف ليكذب عليهم في المكتب وهو يعطي سبباً لتأخره في الوصول.

كان من السهل عليه ان يدعي بأنه كان يزور باتريشيا لأمور تتعلق بالعمل بينما هو في الحقيقة... وازدردت ريقها بألم محدثة نفسها دون رحمة، هيا اعترفي... اعترفي... لقد ذهب إليها الليلة الماضية مباشرة من جانبك، لقد أمضى الليلة معها، وحتى هذا لم يكن كافياً، فهو مازال هذا الصباح يريد ان يبقى معها.

ومزقها الألم بشكل أقسى من أي شيء كان عليها ان تحتمله، لقد أحرق جلدها وشع من عينيها إلى حد جعل آن وهي تعود حاملة كوب ماء، جعلها تهتف وهي تنظر إليها: «يبدو منظرك مخيفاً، هل أنت واثقة من انك...»

فقاطعتها شارلوت كاذبة: «انا... إن لدي صداعاً خفيفاً وهذا كل شيء.» ثم بعد ان اقنعت آن بأنها قد ابتدأت تتحسن، اخذت تتساءل عما منعها من ان تقبل النصيحة وتذهب إلى بيتها معتذرة بالحجة التي قدمتها إليها آن، وهي العدوى الجرثومية التي يبدو انها منتشرة في المنطقة.

حدثت نفسها مفكرة، ان الوقت لم يفت بعد. ان بإمكانها ان تنهض الآن وتخرج، بينما بإمكان آن ان تؤكد مرضها لمن يسأل عنها، ربما عدة ايام في المنزل تستجمع فيها نفسها، يمكنها بعدها ان تعود إلى سابق سيطرتها على حياتها.

كانت قد اخذت بالنهوض من مكانها، عندما فتح الباب الموصل بين المكتبين ودخل دانيال.

«شارلوت، أريد ان اتحدث معك.»

عرفت على الفور ان حديثه لن يكون عن العمل، وذلك من لهجة صوته، وتساءلت بمرارة عما عسى أن يحدثها عنه... ان الليلة الماضية كانت غلطة؟ وانه سيكون شاكراً لو انها تعتبر ان تلك الليلة لم تمر قط؟

حسناً، ان بإمكان اثنين ان يقوما بنفس اللعبة.

وقفت مبتعدة عنه، مشيحة بوجهها، مركزة نظراتها على مكتبها، مقبضة يديها وهي تجاهد في جعل صوتا هادئاً متزناً وهي تقول: «ذلك بالنسبة إلى ليلة أمس... لا أظن في الواقع ان ثمة ما ينبغي ان يقال.»

«شارلوت...»

تجاهلت نداءه هذا لها وتابعت تقول: «انني... اننا راشدان نحن الاثنين، يا دانيال، وما كان حدث بيننا الليلة الماضية كان... حسناً، يجب ان اكون صادقة معك، حتى ولو... خفت ان تفلت الأمور من بين يدي، ذلك انني كما كنت قد اخبرت ريتشارد عندما أجرى لي المقابلة، ذلك أنني كنت مخطوبة، وتلك الخطبة فصمت برضانا، نحن الاثنين منذ اشهر... أنا لا أحب الاعتراف بما سأقوله الآن، ولكن حسناً... دعنا نقل انه يبدو انني أفتقد بيفان، خطيبي السابق... ان ما حدث بيننا الليلة الماضية لا شأن لك به شخصياً... لقد كان... كان الأمر مجرد رغبة عابرة لا شأن لها بالمشاعر أو الحب.»

حتى إن شارلوت نفسها اجفلت وهي تطلق هذه الكذبة،

ولكن كان عليها ان تفعلها، وذلك إنقاذاً لكرامتها، انها لن تدع دانيال يكون هو الذي يقول لها انها لا تعني شيئاً في حياته.

شعرت بالصمت يضغط عليها ويكاد يخنقها، ثم تكلم دانيال.

أثار صوته الخشن المليء بالمرارة، اعصابها والتي كانت متوترة اصلاً، وهو يسألها: «اتريدين ان تخبريني انك كنت تستعملينني بديلاً لخطبيبك السابق، وان حديثك عن الحب والمشاعر كان في الحقيقة، موجهاً إلى بيفان؟»

اجفلت شارلوت راجية ان لا يسمع احد في الممر صوته. لماذا ردة الفعل هذه في صوته؟ يجب ان يكون مسروراً لتسهيل الأمور عليه، ولكن الرجال على كل حال معروفون بالأنانية بالنسبة إلى كبريائهم، ولا شك انه لم يكن مسروراً لفكرة انها كانت تتخذه بديلاً لشخص آخر رغم علمه بأنه هو أيضاً يفعل الشيء نفسه معها.

ولكن مع هذا فقد أفزعها شيء ما في صوته، ما جعلها تندفع فجأة إلى موقف الدفاع: «اظنك تعتقد ان ليس على المرأة ان تتملكها مثل هذه المشاعر، فتشعر بالرغبة... كما يشعر الرجل.»

تملك شارلوت الرعب مما تقوله، ولكنها لم تستطع ان تمنع الكلمات من التدفق وكأن ثمة شخصاً آخر يسيطر عليها.

ثم قال دانيال بترفع: «اظن انه لا ينبغي لأحد، رجلاً كان أم امرأة، ان يتخذ انساناً بديلاً عن انسان آخر، سواء كان ذلك بالنسبة إلى المشاعر أم إلى الحاجة.»

ثم استدار مبتعداً عنها إلى مكتبه مغلقاً الباب خلفه بحزم.

جلست شارلوت وهي ترتجف بعنف، ما الذي قالته؟ واخذت تتناوبها حالات البرودة والسخونة كلما ازداد استيعابها لفظاعة العمل الذي قامت به.

تملكت دانيال ثورة غضب هائل منها، ولكنه استطاع السيطرة على طبعه، باستثناء كلمات الاحتقار تلك التي قالها لها وهو يغادر مكتبها، والتي رأتها لا تعني شيئاً ما دام هو نفسه يتصرف بعكسها.

ولكن ان تدعي بأنها كانت تستغله بديلاً لبيفان، وان يكون هو قد صدقها... فهذا ما لم تستطع احتماله.

لكنها عادت تحدث نفسها بأن ربما ما فعلته كان هو الأفضل... وانها بهذه الطريقة تكون قد حفظت كرامتها على الأقل.

عندما حان موعد الغداء كانت قد أصيبت فعلاً بالصداع الذي كانت ادعت وجوده هذا الصباح.

وكانت سمعت خطوات دانيال وهو يسير في مكتبه جيئة وذهاباً، وذلك لمدة عشر دقائق على الأقل بعد مغادرته مكتبها، وبعد ذلك يبدو انه قد غادر مكتبه.

لم تكن تريد ان تسأل آن عن مكانه، طبعاً محدثة نفسها بحزم بأنها مسرورة لغيابه... وأنه بالنسبة إليها لم يعد يهمها حتى ولو لم تره مطلقاً بعد الآن، والأفضل أن لا تراه على كل حال.

بقيت في العمل أثناء فرصة الغداء، ذلك انها لم تستطع احتمال التفكير في الطعام كما انها لم تستطع مواجهة عطف بقية الموظفين عندما يرون شحوب وجهها. كما انه كان

عليها أن تعوض ما فاتها من عمل، ولكن ما ان حانت الساعة الثانية والنصف، حتى اصبحت لا تستطيع رؤية الكتابة التي امامها بسبب الصداع الذي كان يعذبها، عند ذلك فقط اعترفت بالهزيمة، فاتصلت بآن تخبرها بأنها ستذهب إلى البيت.

فقالت آن بحنان: «نعم عليك ان تذهبي.»

* * *

لحسن الحظ وجدت المنزل خالياً، اخذت حبتي أسبرين وبدلت ثيابها ثم اندست في سريرها، ولكنها بدلاً من ان تنام، أخذت تستعرض كل ما حدث لها هذا النهار مع دانيال، دانيال يكشف لها عن مشاعره نحوها... دانيال يتركها ويذهب ليجتمع مع باتريشيا... دانيال ينظر اليها باحتقار... دانيال ينظر إلى باتريشيا بحب ورغبة، دانيال يخبرها بأن عليها ان تعمل تحت إشرافه المباشر... دانيال يحدثها عن ليديا وجون، دانيال... دانيال... دانيال...

كانت قد استغرقت في نوم مرهق لتوها، عندما صعدت والدتها إلى الطابق الأعلى وهي تهتف بقلق: «شارلوت، انك جئت مبكرة، ماذا حدث؟»

* * *

أصرت شارلوت على الذهاب إلى العمل في اليوم التالي وذلك رغم معارضة والدتها.

لقد قررت ان لا تتهم بالتمارض اضافة إلى كل شيء آخر، وعلى كل حال عندما وصلت إلى العمل نظرت إليها آن وهي

تهتف كما فعلت والدتها: «هل انت واثقة من ان عليك ان تعودي إلى العمل؟ انك مازلت شاحبة إلى حد مخيف.»

نظرت إليها لاوية شفتيها: «كانت والدتي أقل لباقة، فقد قالت إنني مخيفة فقط.»

فضحكت آن: «سأحضر اليك فنجان قهوة.»

انتظرتها شارلوت إلى ان عادت لتضع امامها على المكتب فنجان القهوة، كما احضرت لنفسها فنجانها الشاي.

ثم ابتدأت آن ثرثرتها المعتادة: «حسناً، لقد فاتك أمس كل شيء، من المفروض طبعاً ان كل هذا سريّ تماماً، وذلك لسبب واضح وهو ان دانيال لا يريده ان يذاع، أعني ان كل شيء هو قانوني، ولكن حتى...»

حدّقت شارلوت اليها وقد تثاقلت دقات قلبها، وانتابها نذير بالشؤم وهي تسأل آن: «ما هو الأمر؟ ماذا حدث؟»

«حسناً، انك تعلمين ما كنت قلته عن انني لا افهم السبب الذي يجعل دانيال يمضي كل هذا الوقت مع باتريشيا وينترز، خصوصاً بعد ان انتهت قضية املاك زوجها، حسناً، اظن كان علينا ان ندرك الأمر، فقد كان واضحاً نوعاً ما.»

سكتت لترشف الشاي، بينما تملك شارلوت شعور بالمرض، أدركت ما الذي ستسمعه، بالطبع، وهو ان دانيال وباتريشيا قد عقدا خطوبتهما، ذلك هو الخبر الذي ارادت آن ان تخبرها به...

«طبعاً، فهذا هو طبع دانيال... ويمكنني ان افهم السبب الذي جعله يحتفظ به سراً، لا بد لي من القول انني مازلت مندهشة لتمكنه من تحقيق هدفه، رغم ان حقيقة إنشاء باتريشيا علاقة مع هذا الرجل الجديد لا بد ساعد في إنهاء

الأمر، فهو بالغ الثراء، وطبعاً هي تريده أن يراها بصورة حسنة.» وكشرت آن قليلاً، وقد عبرت ملامحها عن رأيها في باتريشيا.

حدقت اليها شارلوت وقد تملكها فجأة الإضطراب، ما هذ الذي تتحدث آن عنه؟ وكيف تنشيء باتريشيا علاقة مع رجل جديد بينما هي مخطوبة لدانيال؟

ثم قالت ببطء: «آن، انني لا افهم ما تحاولين قوله، هل دانيال وباتريشيا مخطوبان أم لا؟»

فحدّقت آن فيها ذاهلة: «مخطوبان؟ كلا طبعاً، لا...»

«ما الذي إذن؟»

«حسناً، انك تعلمين ان زوج باتريشيا كان أصيب في حادث سيارة، وكانت اصابته تلك هي التي أدت إلى وفاته في المستشفى، ولكنه أرسل بطلب دانيال قبل ان يموت ثم أخبره بأنه يريد ان يغير وصيته، ويبدو انه كان قد شعر بأنه لم يكن عادلاً بالنسبة لابن زوجته، وكان قد تشاجر معه لأن غوردون هذا لم يرض عن زواجه من باتريشيا، فكان ان ارغم غوردون على ترك العمل والمنطقة كلها لهذا السبب. ولسوء الحظ، مات بول وينترز قبل ان يتمكن من توقيع وصيته، وكل تلك الاجتماعات التي كان دانيال يعقدها مع باتريشيا كانت لأنه كان يحاول اقناعها بأن تسلم غوردون تقاليد العمل، كما كان زوجها الراحل يريد. انك تعرفين شخصيتها، فقد رفضت في البداية وبكل إصرار، ولكنها اخذت تلمح بعد ذلك إلى انها قد تغير رأيها. لم يقل دانيال هذا، ولكنني اشتبهت في انها كانت تمنيه بالقبول، متظاهرة بأنها تريد مقابلته بشأن العمل، بينما في

الحقيقة... ثم تعرفت إلى هذا الرجل الآخر. ومنذ ليلتين تلقى دانيال مخابرة منها تقول له انها على استعداد للتحدث معه قانونياً عن التوقيع لغوردون بشأن العمل، ولكنها تريد إنهاء كل شيء بأسرع ما يمكن لأنها سترحل مع ذلك الرجل الجديد إلى فلوريدا لمدة غير محددة، ويبدو ان لديه اعمالاً هناك تتعلق بتطوير الملاحة أو ما أشبه ذلك... وقد أفلح دانيال في أن يجعل باتريشيا توقع على الأوراق الرسمية بشكل قانوني وذلك صباح أمس، وكان ذلك هو السبب في زيارته الباكرة لها، ويبدو انهما كانا في الليلة السابقة قد بحثا كل شيء، ثم عاد إلى بيته وطبع الأوراق بنفسه، انه لم يقل ذلك، ولكنني اظنه لم يغامر بإرجاء الأمر مدة طويلة كيلا تغير رأيها.»

قالت شارلوت بفتور: «ها... لقد فهمت، اظن... اظن ان دانيال لا بد أنه يشعر الآن بالسرور والإرتياح.»

فقالت آن: «حسناً، هذا هو المفروض، ولكنني لاحظت، في الحقيقة، أمس ان ثمة شيئاً يشغل باله، هنالك طبعاً جنازة جون بالفور اليوم، وهذا هو سبب عدم حضوره إلى المكتب، فقد كان مولعاً جداً بذلك الرجل العجوز.»

فأومأت شارلوت تقول: «نعم، نعم... هذا صحيح.»

كانت تشعر بندم هائل وشعور بالغ بالذنب، والأسوأ من ذلك عذابها المبرح المر لما فعلت... وما هدمته بيديها...

ولكن كان بإمكان دانيال ان يخبرها... ان يشرح لها الأمر...

وعضت شفتها معترفة بأن كل ما حدث لم يكن سوى نتيجة لعدم الثقة بينهما، فهو لم يثق بها كزميلة له، وهي لم

تثق به كرجل، وعسى على كل حال، ان تكون النتيجة خيراً، لأنه من دون الثقة المتبادلة لا يمكن ان تكون بينهما علاقة حقيقية.

ومع ذلك لم تستطع ان تمنع نفسها من التفكير في مقدار ما كلفها سوء حكمها على الوضع، لو انها لم تقفز إلى مثل ذلك الاستنتاج الخاطىء... لو انها انتظرت فقط... استمعت إليه صدقت ما كان قاله من ان الأمر كان يتعلق بالعمل.

وأهم من كل شيء لو انها بقيت صباح أمس صامتة... فلا تسمح لكرامتها بأن تدفعها إلى التفوه بكل تلك الأكاذيب المشؤومة.

وارتجفت وهي تتذكر ما كانت قالته له بالضبط، ثم تذكرت ردة الفعل لديه.

• • •

عاد دانيال إلى العمل، وقد اجاب على سؤال شارلوت المتردد عن جنازة جون بالفور، وذلك بهدوء واختصار، ومع ان الباب الموصل بين المكتبين بقي مفتوحاً، ومع انه تابع دخوله إلى مكتبها ليقف بجانبها مناقشاً تفاصيل العمل، دون ان يتغير شيء ظاهرياً، إلا ان كل شيء قد تغير داخلياً.

لم يعد يقف قريباً منها مثل قبل... لم تعد ترفع بصرها لتراه يلاحظها بتلك النظرات التي كان تجعل قلبها يخفق بعنف، وحيث كان هناك الدفء... لم يعد يوجد شي.

كان يبدو وكأنه يتعمد الإبتعاد عنها... لقد اصبح بينهما الآن حواجز غير مرئية جعلت من المستحيل عليها حتى ان

www.elromancia.com

تفكر في الإقتراب من موضوع ذلك المساء الذي أمضياه معاً ومحاولة ان تشرح له السبب في تصرفها ذاك.

جربت مرة واحدة ان تفتح الموضوع مبتدئة بالتعليق على أنه لا بد مسرور لنتيجة عمله في قضية غوردون جونسون.

فقال باختصار: «لم يكن ذلك يدخل في عملي كمحام، وطبعاً كنت واعياً إلى ان محاولتي تنفيذ رغبة بول قد تجلب إليّ تهمة محاولة الضغط على باتريشيا بشكل غير قانوني، ذلك ان وصية بول الحاضرة كانت قانونية تماماً، ولكنني كنت أعلم ماذا كانت رغبة بول، وطبعاً من الناحية الأخلاقية، كان هذا أمراً عادلاً بالنسبة إلى غوردون... ولكنني محام، ودوماً كان من الخطورة البالغة ان ينفذ المرء العدالة بنفسه، كنت مهتماً تماماً بأن اشتراكي في هذا الأمر ينبغي ان لا يؤثر على مكتب المحاماة عندي بأي شكل، وكان هذا هو السبب في انه كان ينبغي ان يبقى هذا الأمر بأجمعه سراً حتى انني لم استطع ان اطلع ريتشارد عليه، ولو كنت فعلت، لكان حذرني من مغبة ذلك كما كنت أنا سأفعل معه لو كان هو مكاني، وعلى كل حال، انتهى الأمر حسب رغبة بول لحسن الحظ.»

وألقى عليها نظرة أقرب إلى العبوس، وهو يتابع قائلاً: «ومع ذلك فليس هذا مثالاً يمكنني ان اعطيه للمحامين الشبان، ولا اتوقع من المجتمع القانوني ان يقر وجهة نظري في ذلك.»

وكانت شارلوت قد وافقته على ذلك بقولها: «نعم، ثم اذا كانت باتريشيا وينترز قد خطر لها ان تقدم شكوى ضدك إلى المحكمة...»

فقال لها عابساً: «بالضبط، وكما قلت، لم يكن من

المستحسن ان انصح أي محام بأن يقحم نفسه في وضع كهذا. والآن بالنسبة إلى قضية هيلبير هذه...»

وإذ أدركت شارلوت انه يريد تغيير الموضوع، حولت اهتمامها ممتثلة إلى الملف الذي كان بين يديها.

وفيما بعد أخذت تفكر وقد تملكها الحزن، في مبلغ ما أخطأته في حقه.

ربما كان على حق، إذن، في ان يشك في قدراتها المهنية.

وفي احلامها، عادت تعيش تلك اللحظات الهامة عندما اجاب على مخابرة باتريشيا وينترز... لقد أدركت في احلامها فقط، انه عندما قال لها ان المخابرة تتعلق بالعمل فقد كان يقول الحقيقة... في احلامها همست له بأنها ستنتظره... وأنها تحبه... وتريده.

لكن الاحلام لم تكن هي الواقع. وعند نهاية الأسبوع كان عليها ان تعترف بأنها قد هدمت كل ما كان في طريق التطور في علاقتهما. وفي العطلة الأسبوعية ذهبت لزيارة شقيقتها، سألتها سارا برقة وهما تعدان الغداء: «ما الذي حدث؟»

عند ذلك حدثتها شارلوت بكل شيء، لتقول في النهاية: «والآن، لا أدري ماذا أفعل.»

رفعت سارا حاجبيها: «ليس هناك ما تستطيعين فعله الآن سوى شيء واحد، وهو ان تذهبي لرؤيته، وتشرحي له كل شيء، اعترفي له بأنك أخطأت... اعترفي بانك كذبت عليه بالنسبة إلى بيفان.»

فقاطعتها شارلوت بقولها: «كلا، كلا، لا يمكنني ذلك، هذا إلى انه لا يريد ان يعلم، لقد كان بالغ البرودة نحوي يا سارة.»

سألتها سارا: «اما كنت انت ستتصرفين بهذا الشكل لو

كنت مكانه؟ انك تحبينه يا شارلوت، نحن الاثنتان نعلم هذا. حسناً، انه قد ينبذك، وقد يقول لك انه لم يعد يهتم بك، ولكن من المؤكد ان هذا يستحق ولو محاولة إيضاح الأمور، ضعي نفسك في موقفه ماذا سيكون شعورك لو كان قال لك نفس ما كنت انت قلته له؟ انه طبعاً سيشعر بالبرودة نحوك.»

«ولكن ماذا لو رفض الاستماع إليّ؟ ماذا لو...؟»

فقالت سارا: «شارلوت، انني اخبرك بما عليك ان تفعلي، كل ما اقوله هو لو كنت انا مكانك لما تخليت عن حبي بهذه السهولة، فكري في ما ستخسرينه.»

قالت شارلوت عابسة: «سأخسر فقط ما بقي لي من كرامة.»

ولكنها في طريقها إلى بيتها عصر ذلك اليوم لم تستطع ان تنسى كلمات سارا تلك، وعندما وصلت إلى المنعطف الذي تتحول عنده إلى منزل والديها، وجدت نفسها بدلاً من ذلك تواصل سيرها في الطريق المؤدي إلى داخل المدينة ومن ثم تتجه نحو منزل دانيال.

الفصل العاشر

عندما اقتربت شارلوت من منزل دانيال، كادت تفقد شجاعتها وتعود ادراجها لولا ان عادت فتذكرت كلمات سارا وكذلك مقدار حبها لدانيال.

من المؤكد ان كل ذلك يستحق منها المحاولة لكي... لكي ماذا؟

ألقت على نفسها هذا السؤال يائسة، هل لكي تتضرع إليه لكي يحبها كما تحبه؟ كلا، لا يمكنها ان تفعل ذلك، حتى انها لا تعلم ما اذا كان قد ساوره قط أي شعور نحوها عدا عن مجرد الرغبة.

ماذا لو أنه رفض ان يستمع إلى شرحها؟ ماذا لو أنه في الواقع قد شعر بالارتياح لما انتهت إليه الأمور بينهما...؟ ماذا لو...؟

ها قد فات الوقت للعودة، فقد أصبح البيت امامها، والأكثر من ذلك انها رأت دانيال يعمل في حديقته الأمامية، كما أنه هو قد رآها أيضاً.

فقد رأته يلتفت ليحدّق في سيارتها. وما زالت قدمه على المعول التي كان يحفر بها الأرض، وعندما أوقفت سيارتها في طريق بيته، أخذ يسير نحوها.

كان يرتدي بنطلون جينز قديماً باهت اللون وحذاء طويل وقد قلب كميه إلى أعلى، وكانت هناك لطخة من التراب على إحدى وجنتيه.

عندما أخذت تترجل من سيارتها ببطء، كان قلبها يخفق حباً له ويأساً من نتيجة هذه المقابلة.

«شارلوت.»

لم يكن في صوته أي حرارة، كما لم تكن في عينيه أي ابتسامة، ما جعل ذلك الخيط النحيل من الأمل الذي احضرها إلى هنا، يذوي ويتلاشى.

ولم يمنعها من العودة إلى سيارتها والابتعاد عنه إلا وقوفه بينها وبين السيارة، كان حضورها عبثاً لا فائدة منه، وقد كانت حمقاء لقدومها إلى هنا، وها هي ذي الآن كل ما تريده هو أن تهرب بأسرع مما تستطيع، ولكنها كانت تعلم ان ليس بإمكانها الذهاب دون أن تقول شيئاً على الأقل.

نسيت كل الكلمات التي كانت استظهرتها، طوال الطريق إلى هنا، وتملكها الذعر وهي ترى دانيال واقفاً ينظر إليها بهذا الشكل وكأنها غريبة عنه، فاندفعت تقول: «هنالك شيء أريد ان اخبرك به.»

لم تكن في النظرة التي رمقها بها أية رقة فقال لها: «أحقاً؟ يبدو من ملامحك ان ما تريدين قوله ليس من النوع الذي أحب سماعه.»

واستدار مبتعداً عنها، وأدركت هي أنه لن يسمح لها حتى بالبدء في الشرح، وفجأة دفعتها مشاعر لم تستطع السيطرة عليها، إلى الركض خلفه وإمساكه من ذراعه، وتجاهلت ما أحست به من انقباض عضلاته المنبىء عن مقاومته لها، والرغبة في طردها تماماً كما تجاهلت القسوة التي رأتها في فمه وهو يلتفت إليها.

وقالت له متوسلة: «أرجوك يا دانيال، يجب ان اتحدث إليك، ان... ان ذلك مهم جداً.»

مضت لحظة ظنت فيها انه سيطردها، ولكن يبدو انه قد غير رأيه، فأخذ ينقل بصره بينها وبين السماء الملبدة بالغيوم، ثم قال: «في هذه الحالة الأفضل ان ندخل إلى المنزل إذ يبدو وكأن المطر سينهمر.»

وفعلاً ابتدأت قطرات ضخمة من المطر تتساقط حتى قبل وصولهما إلى الباب.

وعندما أصبحا في الداخل كان الجو قد اظلم إلى حد لم يجد دانيال منه بداً من اشعال الضوء، بعد ان أشار اليها بالدخول توقف ليخلع حذاءه، بينما اخذت هي تنظر إلى قطرات المطر على ساعديه وهي تكاد تختنق بما تشعر به من ألم وتعاسة.

كان واضحاً من تصرفات دانيال نحوها أنه ما كان ينبغي لها ان تحضر إلى هنا، متى ستتعلم كيف تفكر قبل ان تقدم على العمل؟ ولا فائدة الآن من إلقاء اللوم على سارا فقد كان القرار قرارها هي.

وسمعته يقول: «هل يوفر علينا وقتنا نحن الاثنين إذا ما تكهنت أنا بما جئت أنت لأجله؟»

زادت لهجته من عذابها، فقد خلت من كل المشاعر، ولكن دون إخفاء الاستياء.

كيف عرف؟ وهل كان يعلم طوال الوقت انها قد كذبت عليه بالنسبة إلى بيفان؟ وشعرت بالغثيان لهذه الفكرة وكذلك لحماقتها.

قالت متوسلة: «دانيال...»

لكنه سبقها بالقول وهو يصرف بأسنانه: «بل دعيني

أتكلم... انك جئت لتخبريني بأن خطوبتك عادت مرة أخرى، وانكما...»

فقاطعته: «كلا... كلا... ليس الأمر كذلك، فهذا لن يحدث قط، فأنا لم أكن... لقد انتهى كل شيء بيني وبين بيفان منذ زمن طويل... انني لم أحبه قط و...»

ثم سكتت فجأة وقد انتبهت إلى لهجتها وما تنضح به من ألم وكدر، كانت ترتجف بالرغم من الدفء في المطبخ.

قال يحذرها: «شارلوت.» فسمعت الانهاك في صوته مزيجاً بشيء آخر... شيء اخبرها بأنه لن يسمح لها بالتراجع الآن.

وفجأة شعرت باللهفة إلى ان ينتهي كل شيء وذلك لتهرب منه ومن كل هذا الإذلال.

رفعت رأسها واخذت تحدّق اليه، محاولة تجاهل خداع حواسها، وذلك الألم الغادر داخلها، وهي تقول له: «لقد كذبت عليك، يا دانيال، عندما قلت لك انني... انك... عندما اخبرتك انني كنت افتقد بيفان.. كنت اكذب.»

لم تستطع ان تقول أي شيء آخر، فالأمر له الآن، الأمر له في ان ينبذ أو يقبل ما قالت... ان يطلب منها الإيضاح، وإذا به، وهي تنتظر، يقول آخر شيء كانت تتوقع سماعه، قال: «أعرف هذا.» ودمر هذا سيطرتها على نفسها كلياً، فاتجهت نحو الباب وقد أعمتها الدموع، لا تكاد تثق بما سمعته.

كان يعلم طوال الوقت انها كانت تكذب، كان يعلم بأنها تكذب وهي تهين نفسها بذلك الشكل.

أمسك بها قبل ان تصل إلى الباب، متجاهلاً المقاومة العنيفة التي قابلته بها.

«شارلوت هل ظننت حقاً انني صدقت لحظة واحدة بأنك

ذلك النوع من النساء اللواتي يقمن بمثل هذا العمل؟ نعم، في البداية، في غمرة الانفعال الذي تملكني وانا أراك تنبذينني، كنت.. كنت من عنف المشاعر، بحيث لم استمع إلى صوت العقل وما كان اظهره لي عندما صارحتني بحبك تلك الليلة... وهو انك تحبينني.. انت تحبينني أليس كذلك؟»

لم تستطع ان تكذب إزاء إصراره هذا، فصاحت بصوت معذب: «نعم، نعم، انا احبك، فهل لك ان تدعني اذهب من فضلك؟»

فقال بحزم: «كلا.» ثم كرر بصوت اكثر رقة: «كلا، لا استطيع ان ادعك تذهبين هذه المرة، شارلوت انني متفهم لتغييرك رأيك، فقد اكون استعجلتك وسببت لك الذعر بعواطفي، ولكن لماذا لم تقولي هذا؟ اتعلمين كم سببت لي من الألم والمعاناة بنبذك لي بذلك الشكل؟»

سكت لحظة ثم عاد يقول: «إياك ان تفعلي شيئاً كهذا بعد الآن، فإذا لم تكوني مستعدة لعقد التزام معي... اذا كنت تريدين المزيد من الوقت، إذا كنت تشعرين بأنني اضغط عليك، فقولي هذا إذن، ولكن لا تطردينني من فضلك.»

ثم قال برقة فائقة: «انني احبك يا شارلوت، ولا يمكنني تغيير مشاعري، ولن اعتذر عنها. فإذا لم يكن شعورك مماثلاً لشعوري، فعليّ ان أقبل هذا، ولكن أرجوك ان لا تكذبي عليّ، لا تخبرني بأنك تحبينني، ثم بعد ذلك تقولين بانك تريدين شخصاً آخر.»

اخذت شارلوت تحدّق إليه، وقد تألقت عيناها بالمشاعر: «وهل انت تحبني حقاً؟»

«منذ أول لحظة رأيتك فيها تعبرين الساحة، ولم أدرك

انك انت المحامية التي كان ريتشارد قد أجرى لها المقابلة، والتي كنا بانتظارها، لم أدرك ذلك إلا بعد ان رأيتك تدخلين إلى مكتبنا.

عندما أصر ريتشارد على اننا بحاجة إلى من يساعدنا على ان يكون مؤهلاً، لم أوافقه على ذلك، في الحقيقة. ولكنه بقي على إصراره، ولهذا تركت كل الترتيبات له، ثم عندما رأيتك...

ربما ليس عليّ ان اعترف بذلك، فهو بعيد عن روح المهنة بالنسبة إليّ، وانا اعلم ان ريتشارد لا بد كان متشككاً للغاية لتغييري رأيي عندما اخبرته بأنني أريدك أن تعملي مساعدة لي وحدي بالنظر لكثرة العمل الذي يثقل كاهلي.»

«هل اردتني مساعدة لك لأنك... لأنك...»

«لأنني أحببتك.»

«ولكني ظننت...»

سرت لأنه كان ما يزال ممسكاً بها، ولولا ذلك لوقعت على الأرض حتماً لشدة الصدمة.

فسألها برقة زائدة: «ألم تشعري بذلك؟»

«كنت اظنك لا تثق بي، ظننتك تريد ان تجعلني تحت رقابتك لأنك... لأنك كنت تشك في قدراتي المهنية.»

رأت الدهشة البالغة في عينيه، ثم عبس وهو يقول: «ما الذي جعلك تظنين ذلك؟»

«حسناً، لأنك ناجح جداً، كنت أسمع اسمك في كل مكان، وكذلك عن نجاحك في قضية شركة الأدوية تلك فيتال، بينما أنا كنت.. حسناً، كنت فعلاً على شفير الافلاس، لقد وقعت في كل الأخطاء... المعروفة كنت اشعر بنفسي فاشلة للغاية،

وحين رأيت انك تشرف عليّ... وظننتك تشك بكفاءتي.»

سكتت فجأة وقد خنقتها الدموع.

فقال بصوت بدا فيه الذهول والارتباك: «هل كنت تظنين ذلك حقاً؟ ولكن لماذا... لماذا لم تقولي شيئاً؟»

«وماذا أقول؟ كيف اتهمك بعدم الثقة بي بينما أنا نفسي اعلم ان لديك كل الحق في ذلك؟ كنت متلهفة إلى ان اجعلك تثق بي، وأن تعتبرني زميلة لك.»

«ولكنني فعلت ذلك... وما زلت، يا شارلوت، فقد رأيت شهاداتك، انني اعلم مبلغ المشقة التي حاولت بها النهوض بعملك، واعرف كم بذلت من الوقت والعمل لأجل أناس لم يدفعوا لك أجراً.»

فقالت بإصرار: «ومع ذلك فقد فشلت، فكانت المذلة التي لحقت بي، وفقداني تقديري واحترامي لنفسي، كانت مشاعر لن تتمكن انت أبداً من فهمها، يا دانيال، فقد كنت ناجحاً على الدوام.»

فنظر اليها متجهماً: «اتظنين ذلك؟ لقد كنت فشلت في الامتحان النهائي.»

وعندما رأى النظرة التي بدت في عينيها، قال لها مؤكداً: «نعم، هذا صحيح، كنت اظنني منيعاً لا أقهر... وانني اصبحت اعرف كل شيء، لقد حاولت ليديا تحذيري، ولكن ما الذي كانت تعرفه؟ فهي ليست سوى امرأة، لا تعدو ان تكون محامية أرياف، أما انا فكنت في الجامعة... آه انني اعرف طعم الفشل، يا شارلوت... ليس الفشل الذي جربته انت والذي من الواضح انه كان بنتيجة كونك كنت ضحية الظروف، فأنا لم اكن ضحية، وانا الذي خلقت ظروفي

الخاصة، فقد تجاهلت بكامل إرادتي تحذيرات أساتذتي وكذلك الشخص الذي كان عليّ ان احترم حكمه اكثر من أي انسان آخر.

عندما فشلت في الامتحان النهائي، لم استطع تصديق ذلك، وأنا اخجل إذ اقول انني لم اشعر حتى بالندم، خصوصاً في البداية، فقد اعتبرت ذلك ذنب كل شخص آخر ما عداي، وعند ذلك أخبرتني ليديا بأنني اخادع نفسي، كما اخبرتني أيضاً بمبلغ احتقارها لي ولكل شخص مثلي يبدد مواهبه وقدراته، متوقعاً ان يحصل من الحياة على كل حسناتها وخيراتها، اخبرتني بصراحة ان ليس ثمة مكاناً هنا في هذا المكتب لشخص مثلي، عند ذلك فقط أدركت مبلغ رغبتي في ان التحق بهذا المكتب، وكم كنت أحمق فعلاً، شعرت بأنني خسرت كل الحق في ان احظى باحترامها، وعند ذلك شعرت بمبلغ أهمية ذلك الاحترام بالنسبة إليّ.

لقد اخبرتني قبل ان تموت بأنها كانت مسرورة لأنني كنت جربت الفشل، لأن ذلك علمني التواضع، وان ذلك جعلني محامياً افضل كثيراً، والأكثر أهمية هو انه جعلني رجلاً افضل.

لم يكن رأي ليديا في الرجال، جيداً وربما كان لديها سبب وجيه لذلك، فقد عاملوها بشكل سيء جداً عند بداية تخرجها، ثم عندما أنشأت مكتبها، ولكنها كافحت وتغلبت على هذه العقبات انما ليس دون ثمن، على كل حال وطالما كنت أتساءل عما إذا كانت تمنت، يوماً ما، لو انها كانت اختارت حياة مختلفة، حياة استقرار مع زوج وأولاد.» سكت وهو ينظر اليها برقة فائقة، ثم يتابع قائلاً: «إياك ان تظني مرة أخرى انني لا اعرف معنى الفشل.»

فهزت شارلوت رأسها، كم كانت مخطئة، وبالنسبة لأشياء كثيرة، كثيرة.

قالت له بكآبة: «في الليلة التي كنت فيها هنا وتعشينا معاً تلك الليلة التي اتصلت بك فيها باتريشيا وينترز، ظننتكما... ظننتكما حبيبين، ذلك هو السبب الذي جعلني اقول لك انني كنت اتمنى لو انك بيفان.»

نظر اليها طويلاً، ثم قال بهدوء: «لم استطع ان اخبر احداً، حتى انت ما كنت أحاول القيام به، وذلك لسبب واحد... حسناً لم أكن واثقاً من ان هذا العمل اخلاقي، ولو ضميرياً كنت اعلم ما كان يرغب بول وينترز فيه، ولكنني بصفتي محامياً كنت اعلم أيضاً ان وصيته كانت قانونية تماماً. ولم أشأ ان أورط مكتبنا في قضية امام المحكمة إذا أرادت باتريشيا ان تدعي عليّ بمزاولة ضغط عليها، وأيضاً في نفس الوقت كنت اشعر بالتزام اخلاقي بأن ابذل جهدي في سبيل تحقيق رغبة بول وينترز الأخيرة، وعلى كل حال فقد كان رجلاً بالغ الثراء، وما له يكفي لهما هما الاثنين، ولكن باتريشيا لم تشأ أن تنظر إلى الأمر بتلك الطريقة إلا بعد أن دخل بان فيكرز في حياتها. إنه سيتزوجها ويعيشان معاً بصورة دائمة في فلوريدا... ولكننا أنا وأنت لدينا شيء لنتحدث فيه أهم كثيراً من باتريشيا وينترز.»

«أحقاً؟»

وألقت عليه نظرة ساخرة متصنعة البراءة: «آه اظنك تعني قضية دانفرز، كنت أقرأ الملف يوم الجمعة وأظن...»

فقاطعها قائلاً: «كفى، ان ما افكر فيه لا علاقة له بالعمل.»

ثم همس يقول: «أريدك ان تكرري ما قلته مرة، هل تحبينني حقاً، يا شارلوت؟»

فأجابته هامسة: «نعم، نعم.»

«وإلى حد يكفي لكي تتزوجيني؟ يكفي لكي تمضي بقية حياتك معي... يكفي لكي تنجبي لي أولاداً؟»

فقالت وهي تضحك بسعادة: «يكفي لكل ذلك وأكثر.»

تمت

www.elromancia.com